الجغرافية السياسية والجغرافية الستراتيجية

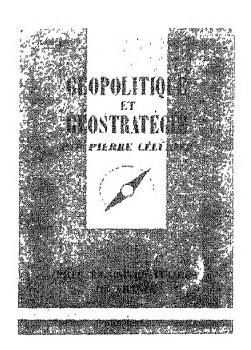
جميع الحقوق محفوظة للتاشر الطبعة الأولى ۲۰۰۰/ ۸/ ۱۹۸۸

الأمالي

الطباعة والنشر والتوزيج معثق عاتف: ٢٠٢٩٩ س ب ٩٥٠٢ تلكس ٤١٢٤١٦

الجغرافية السياسية والجغرافية الستراتيجية

الأميرال بيير سيليرييه ترجمة: أحمد عبد الكريم



صورة النسطة الفرنسية

تقديم

كتاب: «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الستراتيجية» الذي نقدمه اليوم للقارىء العربي، هو محاولة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بيسير سليرييه» لتعيد هذا الميدان الشائك شديد الوعورة، وتأطيره، والسعي للاحاطة بفروعه ومقوماته وأسسه العلمية والتاريخية العديدة، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين.

واعتقادنا أن شمولية البحث رغم كثافته وايجازه، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم والجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الستراتيجية».

فالمكان والزمان والانسان، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم.

والمكان اليوم أصبح بعد غزو الفضاء، ذو أبعاد ثلاثة، كما لم يعد للحواجز الطبيعية والمسافات الأهمية نفسها التي كانت لها في الماضي، بسبب التطورات الماثلة التي طرأت على وسائل النقل والاتصالات.

حتى ليمكن القول أن الحدود بين الدول والقارات زالت أو في طريقها الى النزوال، وبمقدور عدد محدود من الأقهار الصناعية مراقبة التحركات التي تجري فوق كامل الكرة الارضية (برها وبحرها) بينها لم يكن بمقدور ملايين وسائل الرصد البرية والبحرية والجوية القيام بهذه المهمة قبل عقدين من الزمن.

والسزمان، كان ولا يزال عاملًا أساسياً بالنسبة لحاجز ومستقبل البشرية

جمعاء. فها من شعب صغير كان أوكبير يمكن فصل مستقبله عن ماضيه وحاضره، كها لايمكن فصله عن الحيز الجغرافي الذي يعيش فيه. هذا مع الآخذ بعين الاعتبار تصاعد أهمية الزمن بسبب المنجزات العلمية والوسائل التكنولوجية المدهشة التي أصبحت في خدمة الانسان، والتي تزداد تطوراً بين يوم وآخر، الأمر الذي جعل لكل ثانية أو جزء من الثانية أهمية قصوى في مصير الانسان.

والأمثلة الملموسة التي تؤكد ذلك يصعب حصرها، وابرزها على سبيل المثال، ما عرفته البشرية من تسارع في وتاثر التطور خلال النصف الأخير من هذا القرن، فالحدث الذي يقع في أي نقطة من المعمورة أو الفلك الذي يدور حولها، يصل الى كل سكان الكرة الأرضية ساعة وقوعه، صوتاً وصورة، ومايسمى اليوم بحرب النجوم ووسائلها تقلص فرص التصدي للصواريخ المعادية الى دقائق معدودة. والمسافر حتى بالطائرات العادية، يمكن أن يتنقل بين عواصم العالم خلال يوم أو يومين بينها تدور المركبات الفضائية _ المحملة بأسلحة الدمار أو بعدسات التجسس وعشرات المرات حول الأرض. . يومياً . .

والوقت أو بالأحرى الزمان يختلف تعريفه بين أمة وأخرى حسب امكانياتها ومدى تطورها السياسي والاجتهاعي والاقتصادي والتكنولوجي . . . فهناك من الشعوب من لايزال يعيش تطوره بعشرات السنين، وشعوب اخرى تحاول اقتناص الأيام والشهور والسنين لكي تستدرك مافاتها لتلحق أو تسبق غيرها، وتعد نفسها لمفاجآت آخر القرن القريب أو بداية القرن القادم الغامض وتكرس أفضل عقولها وجزء هام من امكانياتها لضهان مستقبلها.

وأخيراً يبقى الانسان هو العامل الأساسي ويبقى الوسيلة والغاية. لكل تطور، بصرف النظر عن أي نظام اجتماعي أوسياسي أو اقتصادي، بل بصرف النظر عن أي عقيدة أو أيديولوجية، ذلك أنها جميعها تهدف الى سيادة وتأمين الحياة الكريمة له، والانسان هوصانع التاريخ، ومروض الطبيعة ومسخرها،

ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع التحرر من وطأة التاريخ، ولا يمكن التحرر من تأثيرات الطبيعة أو البيئة التي يعيش فيها.

والجنغرافيا السياسية والجغرافيا الستراتيجية، احدى العلوم الحديثة التي يحتاجها القادة السياسيون والعسكريون في الانساق العليا التي تصنع فيها القرارات بشكل خاص، وهي مكملة للعلوم الانسانية والتطبيقية الأخرى التي تهيء لمؤلاء القدرة على الخطط السياسية والعسكرية العليا تحديد الأهداف، بها يتلاءم مع الظروف والشروط الموضوعية والامكانيات والوسائل المادية والمعنوية والبشرية، ولا يغفل الاطار العام الشامل المحلى والاقليمي والعالمي، ولا يتجاهل العناصر التفصيلية التي تربط كل حدث لها صغير أوكبير، بالمحيط الذي يقع فيه ولا يمكن أن تعزله عن العوامل الخارجية التي تطغى في عصرنا الحاضر وتؤثر عليه بشكل مباشر أوغير مباشر، الى الحد الذي يمكنها أحياناً من تسخيره لغايات مختلفة تماماً عن الغاية التي أدت الى حدوثه واخراجه من نطاق تأثير القوى التي سببته، لتصبح هي والحدث أداة طيعة ووسيلة بيد القوى الأعظم والأقوى . . . ونحن اذ نقدم هذه الدراسة، للقارىء العربي، تدفعنا الى ذلك الرغبة، بتحريض الباحثين والمختصين للمزيد من الدراسات والبحث ليكون للامة العربية سياستها وستراتيجيتها المبنية على ماحباها الله سبحانه وتعالى من موقع جغرافي فريد وامكانيات وشروات، وما أنجزه الانسان في هذا الحيز الجغرافي الحساس من ثقافات وحضارات، أغنت البشرية ولا تزال. . عما يوفر له كل الفرص لكى يلعب الدور الذي يستحقه في العلاقات الدولية.

أحمد عبد الكريم

To: www.al-mostafa.com

المقدمة

«ان محاولتنا هذه تركيب يبحث عن نفسه، شأنها في ذلك كشأن العالم الذي نسعى لفهمه».

• غاستون بيرجيه

الجغرافيات السياسية: La Géopolitique الجغرافيا العامة؛ وإدارة الحروب كانت دائها تهتم بالشروط الطبيعية لمسارح العمليات. غير أن السياسة والستراتيجية بقيتا زمناً طويلاً تمارسان في ميادين منفصلة؛ فكان رجل الدولة، والقائد العسكري ينظران للجغرافيا من زوايا مختلفة في أغلب الأحيان؛ ولم تكن هذه الطريقة توفر لكل منها إلا معرفة «ساكنة» للوضع العام.

ولم يعد من الممكن استمرار هذا الاسلوب في أيامنا الحاضرة، لأن الجغرافيا اكتسبت معنى آخر، بعد ان سمحت الأساليب والوسائل العملية الحديثة، بالحصول على المعرفة الدقيقة للعالم في مظاهره واشكاله المتعددة، وباستنباط الأسباب التي تكمن وراء ما يطرأ عليه من تبدلات، وتقدير النتائج المترتبة على تدخل الإنسان بالتوازنات القائمة والتطورات التي قد تحدثها.

وهـذا التـدخل، ليس في الحقيقة سوى تجسيد لارادة سياسية، تأخذ عند الاقتضاء شكل «العمليات العسكرية».

والحرب، كانت ولا تزال، حسب التعريف المشهور عن كلوز ويتز. «هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى». ولا بد إذن للقائد العسكري (رجل السنراتيجية) ولرجل الدولة (السياسي)، من أن يفكرا بالاتحاد. إلى الحد الذي يصل أحياناً إلى أن يشكلا رجلا واحداً. ذلك أنهما يتواجدان ويتفقان _ في المفاهيم الحديثة للجغرافيا التطبيقية _ في الميادين التي تعنيها والتي يطلق عليها اسم «الجغرافيا - السياسية» و «الجغرافيا - الستراتيجية».

والواقع ان هاتين الكلمتين اخذتا تفقدان كل أثر من آثار الفذلكة اللغوية ، التي كانت تسند اليها عضوياً في الماضي ، واصبحتا تعنيان نوعاً من التفكير ، وطريقة خاصة لتصور الأشياء عما يلاقي الآن رواجاً واسعاً في أوساط المختصين . إلا أن هذه الأفكار لا تزال في أغلب الأحيان مبعثرة ، لأن الصلات الوثيقة التي تربطها ببعضها لم تظهر بها فيه الكفاية ، على الرغم من الدروس الواضحة ، والقاسية ، في أغلب الأحيان ، التي تزودنا بها الأحداث الراهنة .

ونحن لا نرى دائساً إلى أي حد تختلط القضايا السياسية والستراتيجية، الكبرى، وكيف تحتاج بل وترتبط كل منها بالأخرى في أيامنا الحاضرة. كما لا نرى، احياناً، كيف أن العوامل الجغرافية ليست سوى معطيات أماسية مشتركة في المجالين، كما أنها تشكل بنفس الوقت شروطاً للوصول إلى الحلول الصحيحة، وبذلك تعتبر مشتركة بالضرورة أيضاً.

وهذا هو السبب الذي حملنا على وضع هذه الدراسة عن الميدان السياسي _ العسكري .

ويبدوأن الأحداث التي وقعت في العالم منذ نشرها لأول مرة (عام ١٩٦٩) حتى تاريخ هذه الطبعة الرابعة (عام ١٩٦٩) أكدت افكارها

الأساسية. وقد نوهنا للتبدلات الهامة التي طرأت عليها بالفعل.

والواقع الآن، أن «العنصر النووي» بشكل خاص، يسيطر أكثر فأكثر على العصر الذي نعيش فيه ؛ وهذا لا يعني اطلاقاً اغفال العوامل التقليدية _ وخاصة منها العوامل الجغرافية _ عند دراسة أي ظرف من الظروف، أو تقييم الاحتمالات المترتبة عليه.

والحقيقة ان استخدام الطاقة النووية سيؤدي غالباً إلى تغييرات جذرية، كما كان الأمر بالنسبة لاستخدام البترول الذي ادى لتطورات عميقة في العالم. وان لتطبيقات التكنولوجيا الحديثة في مجال الالكترون سيكون لها آثار حاسمة لا تقل اهمية عن غيرها من المنجزات العظيمة.

ففي الميدان العسكري مثلاً، ترتب على استخدام الأسلحة النووية ثورة حقيقية، لأن آثارها التدميرية بلغت من الضخامة حداً يعجز خيال الانسان عن حصر مضاعفاته. ويبدوان الدول لا تزال مصممة على عدم استخدام هذه القوة الرهيبة، بشكل كثيف على الأقل، في الحروب الشاملة.

ومع ذلك فمن المرجح أن يلجأ المتنازعون - في سبيل فرض ارادتهم - إلى استخدام الحروب الثانوية التي عرف الكثير منها في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وقد اطلق عليها اسم «الحرب الاقليمية» أو «الحرب المحدودة» جغرافياً أو بسبب أنواع الأسلحة المستخدمة فيها، أو اساليب تصعيدها بدءاً من الخطب النارية الجماهيرية وحتى قنابل النابالم (والقنابل العنقودية) (بانتظار القنابل النووية المصفرة).

وفي كل الحالات، فإن أنواع وأهمية الحروب تتناسب مع أنواع الخصوم المتنازعين، كما تحددها أيضاً العوامل الجغرافية - الستراتيجية، والجغرافيا - السياسية، التي تحتفظ بدورها نفسه في الحروب الباردة وفي الحروب الساخنة.

الجزء الأول

الجغرافيا _ السياسية La geopolitique

«ان هذه الكلمة المشبوهة جداً، والممقوتة جداً، يجب ان يعاد لها اعتبارها، باعطائها ممناها الحقيقي».

€ج. دوكاسترو

الفصل الأول

لمحة تاريخية

وبين السياسة والواقع تقوم هوة من الجهل ومن منطق الرجال».

● ج. غوتمان

كانت الحاجة والفضول دائهاً وراء اكتشاف الانسان لبيئته الأرضية، ورسم حدودها، وتحديد المواقع المتباينة عليها، وأخيراً وصف وتمثيل هذه النتائج بشكل ملائم.

وكان لكل زمن جغرافيوه الذين كرسوا حياتهم لتثبيّت المعارف التي حصلوا عليها فسترابون (STRABON) ، لا تزال شهرتهم ودقة اعهالهم تحتفظ بمكانتها حتى يومنا الحاضر(۱). غير ان هذه الدقة كانت نسبية،

١ ـ سترابون: STRABON جغرافي يوناني ولند في أمازيا عام ٥٨ ق. م وتوفي عام ٢٥ م. وألف
 كتاب والذكريات التاريخية للجغرافيا الثمينة.

_ بتوليميه Ptolemée Claude : هو عالم فلكي، وجغرافي، وعمالم رياضيات، من أصل يوناني (٩ ـ ١٦٨م).

وقد اغفل المؤلف، الجغرافيين العرب الذين ساهموا في وضع علم الجغرافيا مثل ابن بطوطة، والادريسي، وغيرهما. (المعرب)

وبقيت الجغرافيات زمناً طويلا مقصورة على التقريب الذي يبدو لأعيننا الحديثة نوعاً من الابداع الخيالي. والواقع ان الصرامة ، التي اعتدنا عليها ، لم تبدأ إلا في نهاية القيرن السابع عشر ، عندما توفرت للإنسان أدوات القياس الصحيحة والدفيقة التي أمكن بواسطتها تحديد المواقع ، وحساب المسافات ، والارتفاع عن سطح البحر ، ورسم الحدود . النخ . . وفي نفس الوقت ظهر الإحصاء ، الذي يعتبر القاعدة الأساسية التي اعتمدت عليها الجهود الأولى لتحليل العوامل الاقتصادية .

ولعل في هذا ما يوضح أن الرجال الذين كانوا يديرون المجتمعات والدول في الماضي البعيد، لم يكونوا يعرفون ما يمكن ان تقدمه لهم الجغرافيا من عون لكي يقوموا بمهياتهم أو بالأحرى لكي يختاروا السياسة الملائمة ويطبقوها.

وان التنافس الشديد الذي اجتاح العالم باسمه أثر الاكتشافات الخبيرة (١) أدى لأول مرة في الـقـرن الخـامس عشـر إلى اقتسـام الأراضي على الأسس الجغرافية. ومع ذلك فإن السياسة لم تبدأ الاعتباد على العوامل المتنوعة التي تشملها الجغرافيا الحديثة إلا في نهاية القرن السابع عشر، واهم هذه العوامل هي: العوامل الإجتباعية، والعوامل البشرية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل الطبيعية.

ومن الجدير بالذكر بهذه المناسبة ان «ماكيافيلي» نفسه (١٠ كان يجهل هذه

٢ ـ رحلة ماجلان واثبات كروية الأرض من عام ١٥٢٠ ـ ١٥٢١م. ورحلة كريستوف كولومبس
 واكتشاف القارة الأمريكية. عام ١٤٩٢م.

٣-نيكولا ماكيافيلي Machiavel سياسي وكاتب ايطالي ولد في فلورنسا عام ١٤٦٩م
 وتوفي عام ١٥٢٧، له عدة مؤلفات سياسية أشهر كتاب الأمير الذي ذاعت شهرته واحتفظ بها
 حتى الآن. (المعرب)

العبوامل؛ وإن فكرة «الحمدود الطبيعية» العزيزة على الكردينال ريشيليون كانت مفهوماً جديداً يربط لأول مرة السياسة بالجغرافيا.

والجنرافيا - السياسية ولدت من دراسة هذه العلاقات. وسنحاول في هذا الكتيب ال نظهسر كيف يمكن للمعلومات الجغسرافية ال تكون مفيدة - بل وضرورية - لقيادة الشعوب في السلم كها في الحرب. وسترى ال رجل الدولة والقائد العسكري يجدان فيها الاسباب المشتركة لوضع خطوط العمل المتوازية أو التي تطيل هذا الخط أو ذاك.

وهكذا يمكن أن نلاحظ بأن السياسة والستراتيجية تسير بنفس الخط في هذا المضهار؛ وليس من المفاجىء إذن أن يكون «المحرض» الأولي لهذه أو تلك من فعل نفس الرجل اللذي كان في وقت واحد، أدارياً عظيماً وستراتيجياً كبيراً. ويمكن القول أن الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الستراتيجية، تنحدران من جد مشترك هو العالم فوبان VAUBIN (°).

٤ - الكاردينال ريشيليو Cardinal de Richelieu رجل دولة فرنسي ولد في باريس (عام ١٦١٩ وتوفي عام ١٦١٩م) واصبح اسقفاً في مدينة ليسون Lugon سن العشرين. وفي عام ١٦١٦ عينته الملكة ماري ديميديس سكرتيراً للدولة للشئون الحربية. وفي عام ١٦٢٢ اصبح كاردينالاً، وفي عام ١٦٢٤ اصبح كاردينالاً، وفي عام ١٦٢٤ اصبح عضواً في مجلس الملك وما لبث ان اصبح رئيساً لهذا المجلس (أي رئيساً للوزراء)، واصبح من أعظم رجال الدولة في تاريخ فرنسا. ومن أشهر منجزاته بناء جامعة الصوربون، وبناء القصر الملكي Palais Royal واحداث الاكاديمية الفرنسية عام ١٦٣٠م.

اما على صعيد السياسة الداخلية فهوالذي نظم المركزية الادارية التي دعمت الوحدة الفرنسية ونفذ الكثير من الاصحات المالية والقانونية والعسكرية.

(المعرب)

• _ المارشال فويان Vaubin

(Selastien de prestre de Vaubin): المعسروف بهارشال فرنسا، ولله في سان ليجية فوبان، العسروف بهارشال فرنسا، ولله في سان ليجية فوبان، (١٦٧٨ - ١٦٧٣) كان مهندساً لدى الملك، ثم سمي كوميسير عام للتحصينات عام ١٦٧٨، فحص حدود المملكة، وادخل تحسينات على دفاعات المدن، وقاد بنفسه بعض العمليات المدفاعية عن مدينة ليل عام ١٦٦٧ و فيليسبرغ عام ١٦٨٨. ولكنه مع ذلك فقد حظوة الملك

١ ـ الرواد الأوائل:

اعطت اعمال المارشال فوبان ودراساته ومنجزاته طابعاً مميزاً للعصر الذي عاش فيه، وكان لها تأثيراً متهادياً على المقدرات العسكرية والاقتصادية الفرنسية. فقد كان يعتمد دائماً على الدراسة العميقة والمكثفة للجغرافيا الإقليمية حتى اصبح رائداً في هذا المجال. وهو جدير بهذا اللعقب أيضاً عندما يظهر العوامل الجغرافية المتغيرة، والتي كانت مجهولة حتى ذلك الوقت: كالامكانيات الخاصة لمختلف الشعوب، والامكانيات التي يمكن استشهارها من المصادر الطبيعية في المبلاد والتي يضعها في المقام الأول من الشروات وهذه فكرة جديدة ايضاً والتغييرات التي يمكن ان تحدثها اعمال الإنسان في الحالة الطبيعية للأشياء.

وكان فوبان يسعى من وراء بحوثه ومنجزاته تحقيق هدف مزدوج وهو: تنمية قوة الدولة بزيادة وتحسين امكانياتها المالية عن طريق تنظيم الضرائب العادلة التي تؤمن مواردها من اقتصاد متطور عقالانياً. ثم تأمين الدفاع عن البلاد بالتنظيم الجيد للقوات المسلحة واستخدامها على احسن وجه، وإقامة شبكة من المواقع المحصنة في الأماكن الحساسة، بشكل يسمح للوحدات العسكرية بالاستناد اليها والمناورة فيها بينها فوق اراض صالحة ومعروفة يجري اختيارها مسبقاً.

وإن الخطط والأنظمة التي وضعها فوبان. والمذكرات التي خلفها، يمكن اعتبارها نهاذج للدراسات الجغرافية الذكية. وان كتابة الأخير المسمسى «العشر الملكي» La Dime Royale يطرح افكاراً لم تصبح مقبولة الا بعد مرور قرن كامل على نشرها.

ويشهد القرن الشامن عشر توسعاً سريعاً في معرفة العالم؛ وفي هذا القرن ايضاً يبدؤ تصنيف المعلومات الجغرافية على اسس منطقية، وتأخذ الجغرافيا الطابع العلمي المنظم، وتصبح كلمة «الجغرافيا» معروفة، وترددها الألسن في جميع المناقشات الفكرية لهذا العصر الذي كانت فيه السياسة من بين ابرز المواضيع التي تشير العواطف، وكمانت الجغرافيا تحتل مكان الشرف بين العلوم، وكثيراً ما

كانت توجمه الفهم للفيلمسوف مونتسكيسوبانه يغالي بالالحاح على التأثير الحاسم للعوامل الجغرافية و«عامل المناخ» بشكل خاص.

وفي هذا الوقت بالذات نشر السيد تورغو Turgot أو يزال طالباً مذكرة ذات دلالة تحت عنوان «الجغرافيا - السياسية»؛ شرح فيها أسلوباً لا يزال مقبولاً حتى يومنا هذا.

وأخيراً، فإن انتشار العلوم، حفز العقول على تطبيق القوانين الطبيعية على العلاقات بين الجغرافيا والسياسة، وما لبث ان تطور هذا الاتجاه بسرعة مذهلة، واصبح نوعاً من «الحتمية الجغرافية» التي تشرح كل شيء.

٢ ـ التطور في القرن التاسع عشر

كان على أوربا في عام ١٨١٥، ان تبحث في المناهج الجغرافية الحديثة، عن المبررات لتطلعاتها الجديدة والطرق التي تساعد على تحقيقها، ™ وقد لبت هذه المناهج بغيتها، وخاصة بالنسبة الألمانيا التي عرفت حيويتها وتفكيرها المنهجى.

وبعد أن هدأ الاعصار الهائل الذي اجتاح فرنسا في عهد الثورة

واصدر كتاب المشهور (un Projed de Dime Royale) دون ترخيص رسمي . عام ۱۷۰۷ الذي صودر قبل قليل من وفاته .

المعرب عن لاروس اونيفيرسيل الجديد.

٣ ـ تورغو Turgot اقتصادي واداري فرنسي ولد في باريس (١٧٢٧ ـ ١٧٨١م)، واصبح مفتشاً عاماً للمالية عام ١٧٧٤ وانجز عدة اصلاحات هامة منها الغاء الرسوم الجمركية الداخلية، وحاول أن يحرر التجارة والصناعة ولكنه جوبه بالعداء من اصحاب المصالح فقد الحظوة واعفي من

٧ ـ يتفق هذا التاريخ إلى حد كبير مع بلوغ الفتوحات الاستعبارية حد الذروة، وخاصة عندما
 حاول نابليون بونابرت توحيد أوربا تحت زعامته، واخذت كل من المانيا وإيطاليا التطلع للوحدة
 والحصول على حصة مناسبة من المستعمرات في القارات الثلاث. (المعرب).

والامبراطورية أنعش الرومانطيكية السلبية الفارغة، حلت محله رياح هادئة منعشة تجدد الفكر وتصقله، وتتناغم مع النتائج التي توصل اليها العلم في جميع الميادين؛ ثم ما لبثت هذه الموجة الجديدة ان اشتدت وانتشرت في بسرعة مذهلة ففي جميع الاتجاهات؛ وأدى هذا التيار الفكري الجديد إلى انحسار التفسير والغيبي، و «الحتمية الروحية» التي كانت تهيمن حتى ذلك الوقت على عقول الناس، وحلت محلها العقلانية البحتة، التي نادى بها الفيلسوف كانت كومت Auguste (الفلسفة الوضعية) التي نادى بها العالم الاجتماعي اوغست كومت Comte (الفلسفة الوضعية)

كما سجل القرن التاسع عشر بزوغ فجر العصر الصناعي الذي اخذ فيه التطور الصناعي يغير وجه العالم مادياً وانسانياً. واحتل الاقتصاد المكان الأول من المتمامات السياسة، وأصبح علماً حقيقياً بسبب كثرة وشدة تعقيد المشاكل الجديدة التي طرحها.

وبالرغم من تقدم العلوم، وتطور وسائل المواصلات، التي قصرت المسافات ويسرت اختلاط الشعوب ببعضها البعض، ظلت هناك حقيقة ثابتة تفرض نفسها على الانسان ألا وهي:

«ان كل التطورات والاحداث تقع على الأرض وترتبط بها حتى عندما تغيرها». .

وقد اعطى هذا التقدم للجغرافيا قيمة جديدة فاحتلت مكانة اكثر اهمية ، بينها تأثرت مناهجها بالتجديد الفكري الذي اتينا على ذكره . واصبحت السياسة والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي ، تلجؤ للجغرافيا ، على الأقل في حدود معينة ،

A - KANT ، صاحب نظرية العقبل الصبرف « Raaison Pur » فيلسوف الماني ولد في كونيسبرغ

^{.(111 - 111)}

٩ ـ اوغست كومت A.Comte صاحب الفلسفة الوصفية التي تعتمد على التجربة Positivisme ،
 وهو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة مونبيلييه (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) .

لتفسير اصولها واتجاهاتها، وتبحث فيها عن عناصر جديدة تضيفها إلى عناصر أخرى لتبنى بها «مذاهب للعمل».

وهكذا نشأت «الجغرافيا الحديثة»، وحصلت احدى فروعها على أهمية خاصة، لأن المشاكل التي تبحثها متغيرة وكثيرة الدقة، وتتعلق مباشرة بمستقبل البشرية عندما تحاول اقتراح الوسائل لتوجيهه، وهذا الفرع هو «الجغرافيا ـ السياسية». خاصة عندما يستوفي جميع عناصره ويثبت جدارته.

ونحن لا ندعي القدرة على تتبيع جميع اتجاهات وفضائل ومساوى، هذا الفرع تفصيلياً من خلال هذا البحث الموجز، إلا أننا نجد من الضروري والممكن تحديد «مدارسه» على الأقل.

٣ ـ المدارس:

ظهرت للملأ اربعة مدارس للجغرافيا _ السياسية في وقت واحد تقريباً في اربع من الدول الغربية وهي: انكلترا، والمانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأميريكية، إلا أنه من الصعب الاعتراف بأن في امريكا مدرسة للجغرافيا _ السياسية بالمعنى الصحيح، (فالاستاد ديفيس W.M. DAVIS، أسس الجغرافيا الطبيعية، والاميرال موهان MOHAN الذي قيل بأنه صاحب مدرسة الجغرافيا _ السياسية الأميريكية، لم يكن سوى خبيراً بالستراتيجية).

أما منشئو المدارس الأوربية فهم بلا منازع:

آ ـ ماکندور MACKINDOR (۱۸۲۱ ـ ۱۹٤۷).

ب _ وراتز ل RATZEL (۱۹۰۶ - ۱۸۶۶).

جـ ـ فيدال دولابلاس (١٨٤٥ ـ ١٩١٨),

وكان اتجاه كل منهم يتفق بشكل غريب مع الطبيعة القومية، والمنهج الفكري الخاص ببلده.

وقد عرف الاستاذ ماكندور «البريطاني» بواقعية منهجه، وباستنتاجاته العملية الدقيقة والواضحة.

وقادت والعقلية الجرمانية المذهبية؛ التي تمتاز بأنها مادية واسطورية بنفس الموقت، قادت هذه العقلية وراتزل؛ إلى بناء مذهبه كأسلوب للعمل السياسي القومى. ومن هنا نشأت نظرية والمجال الحيوي؛ العزيز على النازية.

وأخيراً فإن الاستاذ فيدال دولابلاس الفرنسي كان ينظر للأشياء نظرة موضوعية وناقدة، تتجاوز الحالة الراهنة؛ وملاحظاته الواردة في مؤلفاته تحض على التفكير الشخصي دون أن يفرض او يطرح نظرية قطعية.

ولكي تكمل هذا الجدول لا بدمن القول أن «المدرسة الأمير يكية ستنشؤ فيها بعد منهجاً تحليلياً، وتعليمياً وشكلياً على أساس الخلاصات التي توردها.

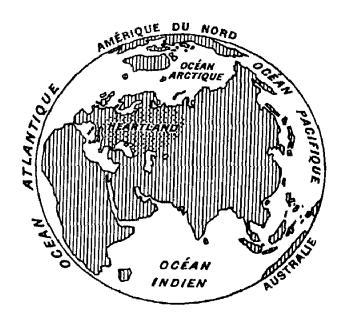
ولا ريب بأن هذا التوافق (بين اتجاهات المدارس الجغرافية السياسية، وعقلية الشعوب التي نشأت من ظهرانيها) يبرهن على اهمية الاسباب التي تقدمها الجغرافيا - السياسية، لتفسير أوللدفاع عن المواقف السياسية الوطنية في بعض الحالات، ولهذا فإننا سنسعى للإشارة إليها اشارة عابرة قدر الامكان.

كان فيدال دولابلاس، على نقيض اسلافه، يبحث دائماً عن تفسير الظاهرة الجغرافية، ويرفض التوقف عند الملاحظة البسيطة للأحداث وتصنيفها. ولم يكن والمكان، وحمده المقصود من هذا البحث، بل شمل بحثه والزمان، و والمدة، أي التاريخ، والعلاقات مع الظواهر الأخرى، جغرافية كانت أم غير جغرافية. ذلك أن والحدث، في نظره لا يبقى دائماً على حاله، فهوليس ثابتاً، بل متغيراً، يعطي الظواهر الجغرافية صفة الميوعة، وهذا مفهوم جديد وهام جاء به وفيدال، يعطي الطواهر الجغرافية صفة الميوعة، وهذا مفهوم جديد وهام جاء به وفيدال، والسبب الأساسي، في هذا التغيير، هوفعل الانسان الذي ينتج عن اختيار متعمد، وليس كما يقترح وراتزل، اذ يعتبره نوعاً من التدخل الغريزي الموروث الذي لا يمكن تجنبه، أو انه عمل مدفوع اليه الانسان عفوياً.

وأخيراً يوضح «فيدال» أهمية العلاقات، كالتبادل بأنواعه، والمواصلات، في حياة الأقاليم والبلدان. وهذه العلاقات تزداد أهمية مع كلما ازداد التقدم البشرى.

أما (راتزل) فقد اعتمد في نظريته قبل كل شيء، على عنصرين أساسيين

تقدمهما الجغرافيا - السياسية وهذين العنصرين هما: المكان او المجال محدود الاتساع، وجميزاته الطبيعية، ومناخه الخ. . و «الموقع» الذي يحتله المكان المحدد فوق الكرة الأرضية، ويحدد نوعاً ما علاقاته. ويتحكم «الإحساس المكاني» بتصرفات الإنسان، أي قابلية وقدرة الشعوب على التأثير بالطبيعة. وتنظيمها واصلاحها. وهذا يعني أن مؤهلات الشعوب للتنظيم والقيادة تتفاوت فيا بينها أي أن قدرتها على حكم نفسها او فرضها السلطة على الآخرين تختلف من شعب لأخر. كما يمكن لهذه الملكات ان تذبيل وتختفي نهائياً، ويمكن أيضاً أن تغرس وتنمى: وهكذا نستطيع ان نتلمس في هذه النظرية شيئاً من «الروح العنصرية» أو التفوق العنصري.



شكل ـ ١ ـ الجزيرة العالمية التي تخيلها ماكتدور وتظهر عليها «مقولته» عن قلب الأرض.

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن نظرية راتزل لم تكن مغرضة وعدوانية فقط، بل يعتبر تمييزها بين «المكان» و «الموقع الطبيعي» بجدارة، رفداً فعالاً يحتفظ بصحته وفائدته حتى الآن. ويعتبر «ماكندور» الكرة الأرضية «كتلة واحدة من اليابسة»: ويطلق على مجموع القارات الثلاث، اوربا، وآسيا وافريفيا، اسم «الجزيرة العالمية» (Worldis land). وهو يرى أن مركز هذه الكتلة هو اهم منطقة بها، ويسميها «قلب الأرض»؛ وينطبق هذا المركز على موقع روسيا تقريباً (انظر الشكل رقم - ١ -). وهكذا يصل ماكندور إلى عبارته المشهورة: «ان من يسيطر على أوربا الشرقية يسيطر على قلب الأرض؛ ومن يسيطر على قلب الأرض

إن هذه النظرية الخلابة تدعو إلى التكفير في تاريخ اوربا الذي تفسره العوامل الجغرافية: وهي بمثابة درس «للقوى البحرية» يفهم منه «أن البحر لا يشكل ميزة بحد ذاته، وإنها يساعد على تنظيم للقوى غنى بالإمكانيات».

ويلاحظ مع ذلك أن هذه النظرية أغفلت العوامل الجديدة الهامة التي تتعلق بتكنولوجياً الفضاء، كما ان تصاعد القوة الأمير يكية وتنظيمها اضطرت ماكندور إلى تعديل نظريته فيها بعد. وأخيراً فقد حملت هذه النظرية صاحبها على ضرورة الحصول على «توازن سياسي» وذلك عن طريق توحيد المجتمعات ذات المصالح والمشل العليا الواحدة. كما يساعد على تنظيم «الأمكنة» (جمع مكان)، بشكل سليم وفعال، ومن هذه الناحية تبقى نظريته سارية المفعول حتى الأن.

ويعتقد «ماكندور» أن توزيع الأراضي والبحار هو العامل الرئيسي، وينطلق من هذه الفكرة ليميز بشكل اساسي بين «القوى البحرية و «القوى القارية» (۱۱)، ونستخلص من هذا «أن الدولة التي تمتلك القوة في البر والبحر معاً ستكون هي السيدة»؛ ولا يمكن تحقيق هذا الشرط إلا إذا توفرت للدولة «كتلة

Les puissances continentales _ \ .

قارية عنجانسة منفتحة على المحيطات وقوية بها فيه الكفاية. وهلا كانت روسيا وحدها هي التي تملك مثل هذه الكتلة الأرضية، فلا بد من منعها من الحصول على منافذ للبحار الحرة، إذا ما أريد الحيلولة بينها وبين الهيمنة على العالم،

وهذه الخلاصة أيضاً لا تزال صالحة تماماً على ضوء الأوضاع الراهنة في العالم.

٤ _ الأراء الحديثة:

تابع احفاد فيدال لابلاس، في فرنسا، منهجه الحذر والمتنوع، وتجنبوا مثله وضم «مذهب قطعي» يمكن استغلاله سياسياً، ويمكن ان نذكر من بين هؤ لاء السمادة: فالو VALAUX ، وبرونهيه BRUNHES ، واندريه سيغفريد ANDRE السمادة: فالو GAUTHIER ، وغموتيسه GAUTTMAN وديميسزون GAUTTMAN .

أما في الولايات المتحدة، فقد ظهرت نظريات أصيلة تحمل الطابع الفكري المثاني والجريء بآن واحد.

غير أن الجغرافيا _ السياسية ، في المانيا اخذت شكل «العقيدة السياسية المنهجية» وساهمت بالايحاء بد «القومية الجرمانية العنصرية» مما عرضها للإدانة من الناحية الأخلاقية .

وقد تبنى آراء «راتزل» العالم السويدي KJELLEN ، واتخذ نفس مواقفه من الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر، واعطى دفعة جديدة للمدرسة الألمانية في فترة الحرب العالمية الأولى ، وحاول في كتابه الجديد الذي سياه « GEOPOLITIK» فترة الحرب العالمية الأولى ، وحاول في كتابه الجديد الذي سياه و الدولة واعضاء وضع مذهب ويشبه به الدولة بالانسان ، ويقارن بين أجهزة الدولة واعضاء الانسان ، ويستنتج من ذلك أن الدول في علاقاتها تتصرف كها يتصرف الإنسان ، وأخيراً أيد البر وفوسور كجيللن «نظرية تفوق العرق الحرماني» ومؤهلاته القيادية المتازة « RAUMSNN » .

ويأتي بعد كجيللين، رجل ألماني أصيل هو البر وفوسور كارل هوشوفر

الجيش واستاذاً في الجامعة، أي أنه كان عسكرياً وسياسياً في آن واحد، فجمع الجيش واستاذاً في الجامعة، أي أنه كان عسكرياً وسياسياً في آن واحد، فجمع الصفات اللازمة لنشر الدعوة لمذهب قومي «سياسي علمي» تبناه القادة النازيون وايدوه بحياس شديد. فبعد أن أكد آراء «راتزل» و «كجيللين»، انتقل إلى تدعيم نظريته بمهارة خارقة، مستنداً إلى مراجع أجنبية. وكان يكفيه أن يوسع قليلاً نحو الغرب «قلب الأرض» الذي نادى به ماكندور البريطاني لكي يجعل آراء هذا الأخير في خدمة «القضية الألمانية».

وفي رأي هوشوفر أن الجغرافيا _ السياسية يجب أن تكون «دليلًا لوجدان الدولة السياسي».

ان النجاح الظاهر لهذه «المدرسة الألمانية» وانتصارات ادولف هتلر الأولية السريعة، شجعت «اتباعها اللامعون» على المضي في هذا الطريق. فظهرت «الدعوة الفاشستية» في ايطاليا لتطالب بالسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط واحياء الامبراطورية الرومانية؛ وتكرست فكرة «المجال الحيوي» في المانيا النازية، بينها أخذت اليابان تجن بالدعوة لـ «آسيا الكبرى» تحت زعامتها بالطبع.

وانعه لمن الغريب أن نجد آثار هذه النظرية تغزو الولايات المتحدة الأمير يكية ، حيث أخذت بعض الشخصيات المعروفة تستعير منها الآراء عن الجغرافيا بالسياسية دون أن تفطن في البداية لروحها العدوانية المغرضة . غير ان احداث عام ١٩٤٢ (١١) ما لبثت ان أدت إلى ردود فعل شديدة ، واصبح كل ما له علاقة بالجغرافيا بالسياسية ومخرباً وشيطانياً ، إلى حد ما في نظر الرأي العام الأميركي .

وإذا ما استثنينا هذه الظاهرة، نلاحظ ظهور اتجاهات جديدة جديرة بالاهتهام في الولايات المتحدة الأمير يكية خلال السنوات العشرين الأخيرة. فقد

¹¹ _ من اهم احداث 1987، الغارة اليابانية المفاجئة على ميناء «هاربر» والتي أدت إلى اعلان الولايات المتحدة الأمير يكية الحرب على اليابان. وهي من اهم القواعد البحرية الأمريكية في جزر هاواي.

طور الاستاذ سبيكان SPYKMAN نظرية ماكندور بالنسبة للعالم الجديد (القارة الامير يكية) وذلك بتطبيقها على خارطة هذه القارة، وتوصل إلى خلاصات بماثلة (لما توصل اليه ماكندور) بالنسبة للاتحاد السوفياتي.

وابرز الاستاذ بومان BOWMAN الأهمية البالغة للعنصر البشري، وجسد «الزحف المستمر لجبهة الحضارة باتجاه الفراغ، (أو ما يطلق عليه اسم الأمكنة غير المنتجة) وباتجاه السبر برية (والمجتمعات غير المتطورة). ونادى بومان بانتصار الحضارة، وانتصار الانسان على الطبيعة.

وأخيراً تبنى الاستاذ هنتنجتون HUNTINGTON «حتمية الجغرافيا» كمنهج فكري، واعطى «للمناخ» اهمية خاصة ودوراً حاسماً، وصاغ نظريته عن «الجفاف» لكي يشرح فيها التبدلات الكبرى في التاريخ. وتبدولنا هذه النظرية ميالة للمطلق ABSOLU.

٥ - اتساع المجال الطبيعي للجغرافيا:

يق آل أن التقدم قصر المسافات، وقلص أبعاد العالم ويسر التعرف عليه. وهذا صحيح إذا نظرنا للأمور نظرة سطحية.

ولكن هذه التسهيلات تقترن دائماً بجزية لا بدوان يدفعها الانسان مادياً ومعنوياً. فامكانيات التبادل المتزايدة والمتنوعة، تحمل في طياتها مشاكل جديدة وشديدة الخطورة أحياناً. وتعقيد النظام الاقتصادي والتحرر السريع للشعوب النخ. . تطرح مشاكل هائلة غالباً ما تختفي مصاعبها الحقيقية خلف تسهيلات ظاهرة . كها أن معطياتها بتغير مستمر، وكثيراً ما يجري هذا التغيير بسرعة مذهلة تعطل الحلول السياسية التي أنشأتها بعد جهود مضنية .

لذا نلاحظ ان مجال الدراسة والبحث يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ، بدلاً من أن يتضاءل نتيجة للمنجزات والاختراعات الجديدة. كما نرى أن «المجال الطبيعي للجغرافيا» يكبر إلى درجة اصبح معها يمتد في «الأبعاد الثلاثة» ويشمل مناطق جديدة على وجه الكرة الأرضية نفسها.

ولقد ساعدت العلوم على اكتشاف «قيمة» بعض المناطق الصحراوية التي ظلت مهملة زمناً طويلاً؛ وظهر أن هذه المناطق تحتوي على مواد أولية كثيرة، وتختزن في باطنها كميات هائلة من الطاقة، هذا بالإضافة لهذه المناطق بحد ذاتها أهمية ستراتيجية حيوية بسبب موقعها الجغرافي، وهكذا اكتسبت أهمية ومكانة عتازين بالنسبة للسياسة الدولية. (11).

هذا وتزداد اهمية الفضاء الخارجي يوماً بعد يوم، كلما ازداد مدى المركبات الطائرة (من طائرات وصواريخ واقهار صناعية وسفن فضائية)، ويطرح ذلك على البشرية مشاكل جديدة، أدى بعضها بالفعل إلى نزاعات سياسية خاصة بالنسبة «للمجالات الجوية الوطنية».

وأخيراً فإن استطلاع اعماق البحار والمحيطات وتوفر بعض الامكانيات العملية لاستثار ثرواتها المخزونة، فتحت مواضيع جديدة للنقاش. ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأمير يكية اتخذت موقفاً صريحاً في هذا المجال، وذلك بالبيان المذي أصدره الرئيس ترومان، وحاول فيه، أن يعطي «الصفة الوطنية» لأبار البتر ول العائمة فوق سطح البحر.

والجنفرافيا - السياسية العادية تعطي وصفاً لتقسيات العالم على شكل دول، في مرحلة زمنية معينة. أما المعلومات الخاصة ببعض المناطق الواسعة فغالباً ما تكون أميل للعموميات والشمول ولا يمكن اعتبارها «تركيباً».

أما العوامل الحاسمة من الناحية السياسية، فتعالجها فروع الجغرافيا الأخرى، بشكل منطقي ظاهرياً، ولكنه غالباً ما يكون سطحياً، ومن هذه الفروع: الجغرافيا ـ الطبيعية، والجغرافيا ـ البشرية، والجغرافيا ـ الاقتصادية، الخر. .

١٢ ـ ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الاهمية الكبرى لكل من الاسكا، والقطبين الشهالي والجنوبي، والصحراء الكبرى وبشكل خاص، الربع الخالي في السعودية ومناطق البترول في الجزيرة العربية اجمالاً. (المعرب).

أما «الجغرافيا - السياسية » فتسعى جاهدة للربط بين كل هذه العناصر ، واستنتاج أسبابها الحقيقية ، وتطوراتها ، وتأثيرها المتبادل ، لكي تصل إلى «تركيب» وضع سياسي قائم وتحديد امكانياته . وهي غير ساكنة ، ولا تكتفي ابداً بأن تكون «محضر ضبط» لا يتبدل إلا بتسجيل ملابسات الاحداث اللاحقة . وهكذا نرى ان «الجغرافيا - السياسية » تنبض بالحياة ، كالأحداث التي تعالجها .

وفي رأي السيد جان غوتمان Jean Gottman أن الوقائع في السياسة وفي الجغرافيا ليس لها قيمة إلا بردود داخيل المجتمعات. أما السكان فقيمته تتوقف على الإنسان المنظم الذي يعيش فيه».

صحيح أن التفسيرات المغرضة تساعد العقائدي (رجل المذهب) على خدمة أهدافه، والجغرافيا ـ السياسية الألمانية كانت مثالاً بارزاً على ذلك أدانة العالم، ولكن أليس الأمر كذلك بالنسبة لجميع العلوم، وكل الدراسات؟ يستوي في ذلك علم التاريخ، وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع. . الخ. خاصة إذا سيطرت عليها المصالح والأهواء وتغلبت على الفكر النبيل.

الفصل الثاني

ميزة ومجال الجغرافيا ـ السياسية

(يسوماً بعد يوم، تغدو الجغرافيا البشرية، جغرافية الإنسان!)

ی ماکي سور

١ ـ العوامل الثابتة

آ ـ المكان وتقسيهاته: تهتم الجغرافيا ـ السياسية بدراسة «المكان» فوق الكرة الأرضية، في نطاق سكناه او استخدامه من قبل الإنسان. فالميزات الطبيعية، والاقتصادية والتقنية، والثقافية، والمدينية، والعرقية، والتاريخية، والحقوقية، والستر اتيجية، تتداخل ببعضها لتعطي للعالم تنوعاً لا نهاية له.

وهذا التنوع نفسه في تطور مستمر، لأن الإنسان يتدخل بالعناصر، حتى الشابتة منها، والطبيعية بشكل خاص ليغير علاقاتها. وهكذا فإن العناصر التي

تتشابه في الأصل، يمكن أن تختلف أحياناً اختلافاً عميقاً، تبعاً للتنظيم الداخلي لشعب ما، وللمؤثرات الخارجية التي تتلقاها من الشعوب الأخرى. هذا بالاضافة إلى أن طاقات شعب ما تتبدل مع الزمن شأنه في ذلك كشأن الأفراد، ويختلف نفوذه طبقاً لهذا التبدل.

وهكذا فإن «المكان» متميز ومنظم بآن واحد. وحدوده السياسية _ أي تقسيهاته إلى دول أو مجموعات دول ذات نظام واحد _ هي الإطار الذي تمارس فيه السياسة بهدف الحصول على التغييرات الضرورية.

أما على الصعيد الدولي، فإن الرغبة بالتغيير، الذي يفيد دولة واحدة على حساب الدول الأخرى، معناها ممارسة سياسة الاحتلال السيطرة. أما رفض التغييرات التي تقتضيها حياة العالم، فمعناه العزلة السلبية أو الطوباوية. والحكمة هي القاسم المشترك بين هاتين السياستين. وهذا ينطبق تماماً على المستوى الاقليمي.

ب الأرض: إن أراضي دولة ما، تشكسل العنصر الأساسي للحدود السياسية، وتتميز بمساحتها، وبنيتها الطبقية وهيأتها الخارجية، وأخيراً بموقعها الندي تعلق عليه الجغرافيا ... السياسية أهمية خاصة. وبالإضافة إلى ذلك فإن وجودها في منطقة ذات «مناخ» معين يحدد على وجه التقريب انتاجها والمميزات الطبيعية والمعنوية لشعبها.

والأرض، بالنسبة لشعب ما، هي قبل كل شيء الشروة الوطنية المقدسة التي لا يجوز مسها. وأن الوسيلة الوحيدة لتبديلها هي «الحرب» أو الرغبة المطلقة الاجماعية للذين يسكنوها.

١ - المساحة: لم يعدد للمساحة تلك القيمة التي كانت تعطى لها في المساخي، عند التساوي بعدد المساخي، عند التساوي بعدد السكان؛ فهناك عوامل أخرى تدخل في مثل هذا التصنيف وخاصة منها، النظام الاقتصادي وصفات الأمة نفسها، وبهذا تصبح بعض النظريات القديمة خاطئة؛

كالنظرية التي تنادي «باتساع مساحة الدولة، أو المجال الحيوي»، والواقع أن «النوعية» هي العنصر الأفضل.

ومع ذلك تبقى المساحة المستثمرة جيداً، عاملاً أساسياً للقوة؛ وسوف نرى عسناتها الستراتيجية كما سنشير بشكل خاص إلى «مفهوم كتلة الوسائل» التي اصبح عاملاً حاسماً في الحياة الحديثة.

٢ ــ البنية الطبيعية: على الرغم من أن البنية الطبيعية هي اكثر العوامل ثباتاً، إلا أن كل عنصر من عناصرها قابل للتبدل مع التقدم. فالري مثلاً يُحيي الأراضي كانت مجدبة في الماضي ؛ كما أن نضوب بعض الخزانات الجوفية أو اكتشاف جيوب جديدة يغير من قيمة الأراضي .

والواقع أن تدخل الإنسان في هذا الميدان يعتبر حاسماً، لأن روح المغامرة والحس التنظيمي يغيران الطبيعة السلبية، فاصلاح الأراضي، وانجاز خطط التنمية الصناعية او الزراعية، وتنظيم التبادل فيها بينها، يعطي للأرض الحياة، ويساعد على تحقيق فعالية أكبر في مجال الدفاع الوطني.

٣ - الهيئة والتضاريس: ويحددها خط الحدود الذي يعود تخطيطه لأسباب متعددة: كالرغبة بالأمن والوراثة، والمعاهدات، والضّم، وقد تتبع الحدود احياناً خطأ طبيعياً (مشل ذرى الجبال، أو مجاري المياه، أو الشواطىء)؛ كما يمكن أن تكون وهمية عضة أحياناً اخرى، (موازية اومنطبقة احدى خطوط العرض مثلاً)، وإن الشعور الوطني يعطي للحدود قيمة رمزية وهذا شيء حسن، غير أن السياسة الواقعية يجب أن تنظر إليها بشيء من المرونة في الظروف الاستثنائية الخاصة، واستناداً لعوامل خاصة.

ومن بين هذه العوامل الخاصة، هي الميزة التي يمتاز بها سكان مناطق الحدود، الذين يوحون الحذر والود في آن واحد حيال جيرانهم ويميلون غالباً للتبادل التجاري والثقافي مع البلاد المجاورة.

والعامل الأخر هو نفوذية الحدود السياسية (أوقابليتها للتسلل والامتصاص) مما يساعد على التبادل والتفاهم ؛ وهذه الصفة لا علاقة لها، اغلب سه

الأحيان، بالنفوذية الطبيعية: فالستار الحديدي مثلاً على الرغم من أنه وهمي ومصطنع، ولكنه يشكل حاجزاً اكثر فعالية من «نهر الزين» أو «جبال الآلب»، ويهذا يمكن القول وأن الحضارة تقاس بمدى نفوذية الحدود»، وقد برهنت على ذلك اوربا في القرون الأخيرة.

والشاطىء البحري يشكل حداً طبيعياً واضحاً، ويمكن أن يكون مفتوحاً جداً اومغلقاً حسب رغبة الدولة، وتمتاز الحدود البحرية بامتدادها حتى نهاية المياه الإقليمية وفقاً للقانون الدولي.

جهد الموقع: La Position ، هو عامل اساسي بالنسبة للجغرافيا - السياسية ، وعليه تتوقف الاتصالات مع الخارج ، التي تعتبر بدورها شروطاً أساسية للقوة . وقد أحدث تطور الطيران تغييراً نسبياً في قيمة الموقع الجغرافي ، إلا أنه لم يقلل من هذه الحقيقة الاساسية ؛ وإن نشاط المطارات الدولية الكبرى ذات الموقع الممتاز ، لدليل واضح على ذلك ، وعلينا أن نلاحظ بأن محسنات موقع ما ليست حقيقية إلا بمقدار ما تجهزه الدولة بالوسائل التي تسمح باستثماره ، وبالرغبة الصادقة بذلك .

وإذا كانت هذه المزايا تخص بمراً اجبارياً للمواصلات الأجنبية، فإنها تتطلب وجسود قوة قادرة على حماية حقوق الدولة صاحبة الممر بدءاً من وحق السيادة وإذا كانت ميزة الموقع تعود للتهسيلات التي تساعد على الاشعاع البعيد، فإنه يحتاج الموسائل المادية لتأمين اتصالاته مع الخارج والدفاع عنها.

1 - المواقع البحرية: - منذ أقدم العصور كان الاتصال بالبحر من أبرز الشروط الملائمة لتوسع بلد ما، ويمكن القول انه ضروري من أجل بلوغ درجة معينة من القوة العالمية، ولا يمكن تصور ذلك إذا لم تتحرر الدولة من الوسطاء في علاقاتها الخارجية. وعلى الرغم من وجود بعض الأمثلة عن دول قوية شذت عن هذه القاعدة، غير ان البلدان التي في مثل هذا الوضع، تعتبر عاصرة سلفاً وبشكل طبيعي، وبالتالي يمكن احتواءها بسهولة، وهي أخيراً محكوم عليها بالعودة إلى الضعف الذي يتلاءم مع موقفها، إلا إذا استطاعت الحصول على منافذ للبحار تتنفس منها.

ومن هنا يمكن أن نفهم مغزى الجهود الجبارة التي كانت تبذلها بلدان كالماينا وروسيا، للحصول على القوة البحرية، منذ اللحظة التي تشعر فيها بأنها اصبحت في مستوى القوى الأوربية الكبرى أو في مصاف القوى العالمية العظمى، ولهذا نجد ان غليوم الثاني امبراطور المانيا وبطرس الأكبر فيصر روسيا كانا متمسكان بهذه الفكرة إلى حدود الهوس. وعلى عكس ذلك فإننا نجد بعض الأمم لا تستغل مميزات مواقعها البحرية الملائمة لأن «العادة» جعلتها تنعم بجهل أسباب القوة التي توفرها لها هذه المواقع.

من الجدير بالذكر ان توزيع الأرض والبحار تزداد أهمية إذا كانت الخلجان العميقة، ومصبات الأنهار، والأنهار نفسها، تطيل الطرق البحرية حتى تبلغ قلب البلاد. ومن المعروف أن «طبائع» السكان تتأثر بهذه الحالات، ويؤدي بها ذلك إلى اتخاذ مواقف سياسية واجتماعية خاصة إلى حد ما.

ويمكن القول أن «الحضارة الغربية» التي تتصف بالمرونة والذكاء، كانت ذات أصول بحرية أساساً، أي أنها ترجع الى أصول متوسطية (نسبة للبحر الأبيض المتوسط) وأطلسية (نسبة للمحيط الأطلسي). وإن الفكر المطلق والدكتاتورية السياسية يولدان ويترعرعان في البلدان القارية(۱).

والموقع الساحلي هو «حد دولي» بنفس الوقت ولكنه ليس على تماس مباشر

١- ان هذا الجزم يعوزه المنطق العلمي، وبالرغم من أن المؤلف يضمر الاستشهاد بأمثلة محددة ومعروفة، إلا أن هناك بعض الأمثلة التي تضعف حجته ويمكن أن نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر، الدكتاتورية في اليابان وهي «جزيرة» اي قوة بحرية، والدكتاتوريات في الجزء الجنوبي من القارة الأميركية، وهي جزيرة ضخمة أيضاً، وترجع الدكتاتوريات فيه لاسباب يمكن أن تكون مفتعلة، كما يمكن أن نسوق «الحضارة العربية الاسلامية» وهالحضارة المسيحية» اللتين نشأتا على أرض شبه الجزيرة العربية، واعطتا للإنسانية عامة وقيهاً جديدة لا تزال حتى يومنا هذا مصدراً فياضاً لا ينضب معينه كما جعلت من سعادة الإنسان الفرد وكرامته هدفاً اسمى تسعى لتحقيقه كل الأنظمة الديمقراطية في العالم. (المعرب).

مع الدول المجاورة، وهو بمثابة منطقة تحول بالنسبة للبلدان النشيطة المنفتحة على بقية اجزاء العالم، يساعدها على تحقيق الثروة من علاقاتها الملائمة مع الخارج.

والبلدان الساحلية تستفيد من المناخ البحري الذي يمتاز باعتداله ويساعد على تنوع الانتاج، كما ان انفتاحها على البحاريهيء لها التعامل مع كل الشعوب من مختلف الجنسيات، وبدلك يصبح سكانها على احتكاك بكل الثقافات مما يجعلهم اكثر اصطفاءاً من سكان المناطق الداخلية؛ واخيراً فإن هذا التنوع المزدوج، يضاف إلى خصائص احرى ليعطي للبلدان الساحلية امكانيات كبيرة للقوة والتوسع (إذا هي وعت ذلك). البرزخ Les Isthmes.

والجغرافيا _ السياسية تتفق هنا أيضاً مع الجغرافيا _ الستراتيجية ، فتعطي للبر زخ(١) أهمية خاصة ، باعتبارها مناطق ضيقة تمر منها بالضرورة المواصلات البرية ويتقارب فيها نفوذ بحرين وغالباً ما يكون التقارب بين عالمين . وعندما

يعترض المواصلات حاجز جبلي ما، فإن طريق التبادل البري بين البحار (الواقعة على جانبي البرزخ) يزداد أهمية على طرفي هذا الحاجز: والمثال على ذلك هو أن جبال البيرنيية تفصل فرنساعن اسبانيا، ولكن البحر المبيض المتوسط والمحيط الأطلسي متصلان بواسطة البرزخ الذي يبدؤ من روسيون (Roussulion) وينتهى عند موقع (Medo) ميدوك(٢).

وقد لا يخلومن فائدة، التذكير بالدور الكبير الذي لعبته بعض البرازخ في

Y ISTHME .. ۲ السبر زخ وتعسريف في الجغرافية الطبيعية هو: لسان من اليابسة ينحصر بين بحرين ويصل بين أرضين .

٣ - روسيون Roussillon احدى المقاطعات الفرنسية تشمل منطقة البيرينيه الفرنسية الشرقية وميدوك Medoc : منطقة فرنسية تابعة لبوردو، وتقع على الضفة اليسرى لنهر الجير وند ابتداء من بلانكيفورت وحتى البروز الساحلي في غراف .

تاريخ البشرية لأن اسهاء السويس، وكورنثا، وبناما وسليسفيج " لا يمكن فصلها عن هذا التاريخ، فقد كانت مصادر للثروة ومواضيع للصراع، وهي بالإضافة إلى ذلك أماكن لاعمال كبيرة، لأن حاجة الانسان لوصل البحار أدت به إلى خرق هذه البرازخ (واقامة اقنية صالحة للملاحة) فزادت أهميتها على الصعيد العالمي.

واصبحت قناة السويس، وقناة بناما، وقناة كييل (°) من أهم النقاط المفتاحية الحوية وتوفر السيطرة عليها ثلاثة مزايا أساسية: سياسية، واقتصادية واستراتيجية.

ان الأهمية العظيمة للبرازخ التي تظهر في هذه الحالات الحاصة جداً، تعتفظ بقيمتها على مستويات اكثر اتساعاً. فالجغرافيا - السياسية تنظر لاوربا كروشبه جزيرة تعتوي على عدد من البرازخ التي تسبح في مياه البحار في الجنوب والشيال؛ وسنتكلم عنها في بحثنا عن الجغرافيا - الستراتيجية ولكن يجب ان نسجل هنا أن الحاجة لمضاعفة الطرق البرية بطرق ملاحية تبر زبوضوح في هذه المستويات: فالاتحاد السوفياتي مثلًا انجز فعلًا، ولا يزال يقوم باعمال ضخمة لوصل نهر الفولغا ونهر الدون بالبحر الأبيض .

المضائق Les Detroites: تلعب المضائق ايضاً ادواراً عظيمة الأهمية، لأن المواصلات البحرية تمر منها بالضرورة. وان كل دولة تشرف على مضيق ما انها تشرف على المواصلات الدولية التي تمر فيه. ولمواقع المضائق قبل كل شيء أهمية ستراتيجية، وهي بنفس الوقت صالحة لرسو السفن واقلاعها، الأمر الذي يجعل

^{\$} _SLESVIG : أو SCHLESWIG-Holstein وهي من مقاطعات المانيا الغربية الشهالية الواقعة على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة كيبل Kiel . ويصل هذه المنطقة إلى بحر الشهال بواسطة القناة بقناة كيبل .

هـ KIEL : قناة كييل التي تصل من بحر البلطيق وبحر الشيال . وتقع في مقاطعة سكينزويغ
 هولشتاين في المانيا الغربية .

منها مصدراً عظيماً للشروة. وغالباً ما تقام المدن والموانيء الكبيرة ذات النفوذ الواسع على شواطىء المضائق. ويذكر التاريخ أن الغزاة المتعاقبين استطاعوا عبر المزمان ان يغير وا مدينة واحدة _ تقع على شواطىء مضائق البوسفور _ ثلاث مرات تحسب كل منها مرحلة تاريخية: بيزنطة، فالقسطنطينية، ثم استامبول.

وعلى الرغم من ان تطور الطيران أفقد هذه المضائق الكثير من اهميتها لقدرت على تجاوزها، إلا أن مضيق البوسفور مثلاً سيبقى مع ذلك احدى نقاط العلام في السياسة الدولية؛ وإن الامبراطورية البريطانية ما كان لها أن تلعب ادوارها العظيمة (وتبلغ أوج عظمتها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) لولم تكن مسيطرة على مواقع جبل طارق، ومالطة، وعدن، وسنغافورة التي تتحكم بأعظم المضائق التي تمرمنها المواصلات البحرية بين الجزر البريطانية والشرق الأوسط والأقصى، وشرقى أفريقيا).

الجزر: هي مواقع بحرية صرفة، وتستحق لهذا اهتهاماً خاصاً، غير انه لا بدمن الحسديث عها يسمى بد «المواقع الجزيرية» des positions insulanes؛ وكذلك المناطق التي تعزلها عن القارة عوارض طبيعية لا تسمح بالمواصلات البرية العادية بما يجعلها غير قادرة على اقامة علاقات مع بقية اجزاء العالم إلا عن طريق البحر أو الجو، وهذه هي الحال بالنسبة للبلدان التي تشكل مواقعها أشباه جزر مشل: اليونان، وايطاليا، واسكندنافيا، والبريا (اسبانيا والبرتغال) والمغرب (العربي)، وجميعها معزولة عن القارة بسلاسل جبلية أو بصحارى صعبة المسالك.

وه الموقع الجوزيوي يساعد على الاستقلال وحرية العمل، ويوفر للبلد مسنات كبيرة، كالموانىء، والتعامل التجاري برأ وبحراً، كما يشكل مركز اشعاع يطل من جميع جهاته على العالم فيؤ من لصالحه حرية اختيار النقاط التي يريدها لتطبيق قوته . . أي ان يجعل جزيرته قلعة حصنية أو نقطة انطلاق تهدد الأخرين باستمرار.

هذا بالإضافة إلى أن سكان الجزريتمتعون بصفات ملائمة تمكنهم من

استغلال خصائص بلدهم، وهذا هوشان شعوب جزيرة كرنب واليونان القديم واسبانيا والبرتغال (في عصر النهضة) وانكلترا الحديثة واليابان.

ولعل من المفيد النظر من هذه الزاوية لتاريخ الولايات المتحدة الأميريكية الذي تأتر إلى حد بعيد بانكلترا، وذلك لأنها (أي انكلترا) لم تعدل عن مطامعها التوبعية في القارة الأوربية إلا في القرن الخامس عشر، عندما وعت خصائصها البحيرية. ومنذ ذلك الوقت استطاعت ان تصبح سيدة البحار دون منازع، وان تفعل كل شيء من أجل المحافظة على هذا المركز. وهكذا اصبحت تتمتع بالحرية الكاملة في اختيار حلفائها، فتدخلت في القارة الأوربية وفي القارات الأخرى، واقامت التجمعات الأقل قوة لتطوق بهم خصومها الأكثر قوة (وهذا هو شأن اسبانيا وفرنسا وروسيا والمانيا فيا بعد. .)، وقد تمكنت بريطانيا منذ ذلك الموت باعتبارها والحكم الوحيد للتوازن الاوربي، أن تستغل امكانياتها الجزيرية على اكمل وجه: ففجرت الثورة الصناعية على أرض الجزيرة ونظمت التجارة في ما وراء البحار وأقامت الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

وفي القرن التاسع عشر بدأت روسيا العملاقة تتطور، وأخذ قياصرتها يهارسون سياسة توسعية برية وبحرية باتجاه «البحار الدافئة»؛ هذه السياسة التي تابعها الاتحاد السوفياتي بعد ثورة اكتوبر.

أما انكلترا الذرائعية فسرعان مانسيت حقدها على مستعمرتها الامريكية القديمة التي طردت منها نهائياً عام ١٧٧٦م (٢)، واستدارت نحوها من جديد لتقيم معها اسساً جديدة قوية لتفاهم انكلو ساكسوني، استطاع أن يصمد امام كل التجارب على الرغم من ان هذه الاسس لم تقتر ن بأية معاهدة رسمية. وكان الفضل في وضعها لرجل الدولة البريطاني CANNING (٧).

٦ ـ اعلان الاستقلال الاميريكي بتاريخ ٤ تموز ١٧٧٦م.

وليد في لندن (١٧٧٠ - ١٨٢٧م) جورج كانينغ رجل دولة بريطاني وليد في لندن (١٧٧٠ - ١٨٢٧م) اصبح وزيراً للخارجية البريطانية (١٨٠٧ - ١٨٠٧) ثم كلف للمرة الثانية بهذه المهمة في عام ١٨٢٧ ، وتقلد رئاسة الوزارة البريطانية عام ١٨٢٧م .

ومنذ ذلك الوقت اصبحت الولايات المتحدة الامريكية على استعداد للتدخيل في أوربا وخارجها إذا لزم الأمر، واصبح «مذهب مونرو» في حقيقته العملية أقبل انعزالية، وأميل إلى «المفهوم السياسي الجزيري» على الأسلوب البريطاني، ولكته متلائم مع المقياس الأميركي.

لقد ادرك العلامة الفرنسي توكفيل (^) هذه السياسة ، فكتب متنبئاً منذ عام ١٨٣٥ ما يلي : «هناك ، اليوم ، شعبان انطلقا من نقطتين مختلفتين ويتقدمان نحو نفس الأهداف ، وهما الشعب السروسي ، والشعب الانكلو ساكسوني أي الأمريكي » . وتوقع توكفيل تصادمهما .

والواقع ان الخصام الايديولوجي عزز التعارس بين المحيط والقارة، لأن الاتجاه الليبرالي يجري، والاتجاه الدكتاتوري قاري.

ومع احتدام الصراع بين هذين العملاقين، (الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة الأمير يكية) اصبحت الدول الأوربية كلها «متوسطة» أو «صغرى» وأصبح عليها أن تختار الانضهام إلى هذا المعسكر أو ذاك، ويمكن لبعضها أن تختار بملء حريتها على الأقل.

وهكذا يتفق التاريخ مع الجغرافيا .. السياسية بالنسبة للبلدان البحرية الليلالية. وهذا هو المعنى العميق لـ «حلف الأطلسي» الذي يرمز اسمه إلى علاقة اعضائه بالمحيط الأطلسي.

أما اليابان، فإن انطلاقها الهائل منذ بداية القرن ورغبتها بالهيمنة على آسيا، لا يمكن تصورهما إلا بعد أن فرضت سيادتها على المحيط الهادي. وكانت

٨ ـ Ocqueville او شارل الكسيس هنري دو توكفيل، وهو كاتب سياسي فرنسي ولد في باريس (١٨٠٥ ـ ١٨٣٩) ونشر كتابه المشهور (١٨٠٠ ـ ١٨٣٩) ونشر كتابه المشهور الديمقراطية في امريكا (١٨٣٤ ـ ١٨٣٠) ثم اصبح نائباً في عام ١٨٣٩م ثم وزير للخارجية الفرنسية عام ١٨٣٩ ونشر في عام ١٨٥٦م كتاباً بعنوان «النظام القديم والثورة».

المعرب عن لاروس اونيفرسيل الجديد

الغاية من غارتها المفاجئة على «ميناء بير ل هاربور» (٩) هي محاولة ضهان هذه السيطرة نهائياً على المحيط الهادي غير أن محاولتها تكللت بالفشل، وجاءت هزيمتها من «البحر» الأمر الذي له دلالته ايضناً!!

وان انطلاق اليابان المذهل في السنوات الأخيرة، يعود بالطبع لاسباب داخلية، تتعلق قبل كل شيء بميزات شعبها، ولكنه سيبقى معرضاً للنكسات إذا لم تتمكن اليابان من استغلال امكانياتها البحرية المتشعبة، وقد لا يكون ذلك مستحيلاً ما دامت تطمئن للحهاية الأميركية، حيال تهديد الصين ومطامع الاتحاد السوفياتي.

٢ ـ المواقع المركزية: Les positions centrales: ان البلد المحاط من جميع جهاته ببلدان أجنبية يعتبر بالتعريف ذا «موقع مركزي». ويمكن لمثل هذه المواقع أن تكون ملائمة للتطور كما تسمح بالضغط بكل ثقلها على النقاط الخارجية التي تختارها، بواسطة القوة أو عن طريق سياسة التوازن. ولكن مثل هذا الضغط يكأي عادة لتوحيد البلدان المحيطة لمواجهته. والتاريخ غني بالأمثلة التي تبرهن على خطورة هذه السياسة وخاصة في اوربا.

والدولة ذات الموقع المركزي، تشعر دائماً بأنها مطوقة وخاصة عندما تتيقن من قوتها، وفي هذه الحالة تصبيح فريسة لعاطفتين متناقضتين: الأولى تدفعها لتوسيع «مجالها الحيوي» لكي تكون مطلقة اليد بالعمل على الجبهة التي تختارها بعد اطمئنانها للجبهات الأخرى.

PEARL HARBOR _ 4

ثنه ٧ كانون اول ١٩٤٢ شن الاسطول الجوي والبحري اليابانيان، هجوماً مباغتاً على القياعية البحرية الأميريكية في ميناء بيرل هاربور التي تقع في جزر هاواي، ودمر الاسطول الامريكي الموجود فيها، وفي صباح ٨ كانون اول من نفس العام اعلنت اليابان الحرب على الولايات المتحدة الأميريكية وبريطانيا، واستراليا وفي ١١/ من نفس الشهر قطعت روما وبولين علاقاتها مع واشنطن. (المعرب).

والثانية، تبر زعند قيام أزمة حفيقية اووهمية، فيتصور عندئذ أنها مهددة من جيرانها مما يزيدها عزلة، ويدفعها لتبني سياسة عدوانية مغامرة تهدف إلى فرض هيمنتها أو خلق حزام أمن من الدول الضعيفة المحيطة بها""، وبذلك تصبح هذه الدول معرضة للخطر على الدوام، بل قد لا تلبث ان تصبح مسرحاً لحروب عديدة دامية، واحياناً قد تفقد حريتها واستقرارها لمدة طويلة كها كانت الحال بالنسبة لبولونيا".

والدولة المركزية تتقاسمها نزعتان في آن واحد، احداهما تدفعها للتوسع، والأخرى تجعلها في خوف دائم من الحصار. وقد تعرضت المانيا لمثل هذه الحالة. كما تبدو آثار هاتين النزعتين على سياسة الاتحاد السوفياتي الحالية.

ولا يمكن الحكم على واحدة من هاتين النزعتين بانها اكثر خطراً من الأخرى على السلام.

ولم يستطمع تطمور الطميران، تخفيف المصاعب التي تعماني منهما المدول المركزية؛ لأن حمولته لا زالت وستبقى محدودة، بالإضافة إلى أن الخطوط الجوية لا

• ١ - ان شعور اسرائيل «بالغربة» عن المنطقة ، وعزلتها في العالم العربي المحيط بها ، بالإضافة إلى طبيعتها الاصلية كمخلب من مخالب الاستعبارين القديم والحديث ، جعلها تسير على سياسة التوسع والعدوان والغدر وتبني مبادىء التفرقة العنصرية لتغرس وتكرس الحقد في نفوس سكانها ضد العشب العربي خاصة وضد كل الحركات التحررية في آسيا وأفريقيا باعتبارها حليفاً طبيعياً للثورة الفلسطينية . (المعرب) .

11 - بولسونيا كان تاريخ هذا البلد سلسلة من المآسي طيلة قرون عديدة بسبب وقوعها بين امبر اطوريات عظيمة تحاول كل منها تحسين مواقعها على حساب دولة بولونيا الضعيفة وهذا كانت ضحية الصراع بين النمسا وروسيا القيصرية والمانيا. بل لعل ذلك ينطبق ايضاً على كل دول البلقان. أما بعد أن أصبح الصراع على مستوى الكرة الأرضية بين «العملاقين الكبيرين» فقد أصبح كل العالم الثالث تقريباً في نفس وضع بولونيا في القرنين الثامن والتاسع عشر، (المعرب).

تؤمن الاتصالات المباشرة التي تؤمنها المواصلات البحرية، وتبقى خاضعة للمجالات الجوية والمطارات التي تشرف عليها الدول الأخرى.

ومن البديهي أن يكون «الحياد» امراً مرغوباً فيه بالنسبة للدول المركزية الصغيرة، ولكنها لا تستطيع عملياً المحافظة عليه إلا في الحالات النادرة؛ عندما تكون طبيعة اراضها غير صالحة اطلاقاً لعبور القوات: وهذه هي الحالة الاستثنائية للجمهورية الاتحادية السويسرية، التي تتمتع بسمعة دولية استثنائية ايضاً «١٠).

وأخيراً لا بد من التنويه بأن «الرأي العام» في الدول المركزية الكبرى، يشكل احياناً عنصر لجم لسياساتها التوسعية، وهو نوع من الميل «للعزلة» يشعر به سكان أواسط الولايات المتحدة الامريكية (Maddel Went)، غير أن هذا الميل لا يمكن أن يتواجد ويشتد إلا إذا كان التطور الداخلي للبلد المعني بكامله لا يزال بعيداً عن بلوغ حدود امكانياته: وهذا يعني أن يكون البلد قادراً على الاكتفاء الذاتي ولا ينقصه المواد الأولية أو غيرها. ويتضاءل هذا «الميل للعزلة» بمقدار ما تظهر الحاجة للمواد الأولية أو الأسواق الخارجية الضرورية لتصريف منتجاته (١٠٠٠).

٢ ـ العوامل المتغيرة:

١ _ السكان: إن اية مقارنة أولية بين شعوب الدول تكشف عن خصائص

^{1 \ .} هناك عواصل تاريخية وسياسية واقتصادية هامة ساعدت على حياد سويسرا بالإضافة إلى بنيتها الجغرافية. من بينها أن الدول الاوربية الكبرى المجاورة لها (المانيا، ايطاليا، فرنسا، النمسا) كانت بحاجة إلى تحييد عقدة المواصلات هذه وتحويلها إلى أرض يمكن اجراء الحوار فوقها بين القوى المتصارعة، كما يمكن لرؤ وس الاموال أن تجد فيها الملجأ الأمين الذي يمكنها من عمارسة نشاطها عبر حدود الدول المتصارعة خلال فترات الحرب ريثها يعود السلام وتستأنف نشاطها المشروع بكل حرية. (المعرب).

١٣ _ وهذا هو حال الولايات المتحدة خلال مراحل تطورها من العزلة الكاملة إلى التوسع الذي لا حدود له (المعرب).

معقدة جداً. فهناك قبل كل شيء الاختلاف بعدد السكان إذ يتراوح بين بلد وآخر. من عدة آلاف نسمة إلى مئات الملايين. غير ان القوة لا تتوقف، إلا في حدود ضئيلة، على عدد السكان، اللهم إلا إذا كانت الفروق العددية بين دولة واخرى كبيرة جدالان، وغالباً ما تكون النوعيات ومستوى التطور هما العاملان الحاسان.

ولا بد من اخد عنصر كثافة السكان بعين الاعتبار فعليه يتوقف _ إلى حد ما _ شروط الحياة وامكانيات ايجاد العمل الضروري للقادرين عليه، وإن المصاعب الجمة التي تنتج عن كثافة السكان، يمكن أن تؤ دي إلى الهجرات المتالية، أو البحث عن التوسع الاقليمي باللجوء إلى العنف احياناً. وعلى عكس ذلك فإن الدول ذات الكثافات السكانية الضئيلة قد تنقصها اليد العاملة، وتكون عرضة للاستغلال، ومن مصلحتها فتح الباب للهجرات من الخارج وإلا فإنها ستخاطر باستقلالها ويستبعد أن يكون ذلك بالعنف أيضاً.

ولا معنى لكثافة السكان بحد ذاتها إلا على اساس الامكانيات الاقتصادية المتناسبة معها، وهذه تعتبر العامل الأساسي في تحديد الكثافة: فهولاندا مثلًا استطاعت تحمل كثافة سكانية بحدود ٢٣٠ نسمة كم وذلك عن طريق استثار طاقاتها المادية والبشرية إلى الحد الأقصى؛ وفرنسا تعيش في مستواها لحالي بكثافة سكانية تعادل ٧٥ نسمة / كم ، وارتضت كندا حتى الآن بكثافة سكانية ضئيلة جداً رغم تساع أرضها ورغم المكننة الزراعية. وعلى عكس ذلك فإننا نلاحظ ان البؤس يزداد سنة بعد سنة في الهند رغم ضآلة كثافة السكان.

كما يمكن أن نلاحظ بأن سياسات الدول ترتبط مباشرة بالأوضاع السكانية الداخلية ؛ لأن التنظيم الداخلي والبحث عن أسواق لليد العاملة تعتبران من الأهداف الدائمة لهذه السياسة. ومن الجدير بالذكر ان البحث عن الأسواق

¹⁴ ـ كالفارق مثلاً بين عدد سكان الصين الذي يزيد عن ١٠٠٠ مليون نسمة وسكان سورية الذي يبلغ حوالي ١٢ ملايين نسمة. (المعرب).

الخارجية (لليد العاملة أو المنتجات) تؤدي غالباً إلى الحصول على عمرات يمكن الوصول بواسطتها إلى الأراضي التي حبتها الطبيعة بالثروة مع قلة عدد السكان.

ومن النادر أن تبقي كتلة السكان وكثافتهم ثابتين. لأن التكاثر والهجرة من الخارج يبدلان احياناً العدد والكثافة؛ والولايات المتحدة الأمير يكية والاتحاد السوفياتي مثالان بارزان على ذلك. وليس من الضروري التذكير بتأثير ذلك على الوضع السياسي في العالم. وهذه الظاهرة بالذات يمكن أن تحدث بهذا الاتجاه أوذاك (أي زيادة عدد السكان أو تناقصهم) ولكن بسرعة أقل، في البلدان المستقرة «ديموغرافياً»، دون أن تعرف الاسباب الحقيقية لذلك بشكل أكيد.

وللنظام الغذائي والوضع الصحي تأثير كبير على نسبة الولادات أوتكاثر السكان. فالبلدان التي تشكومن قلة الغذاء، وانتشار الأمراض والاوبئة، يتضاءل سكانها وتتناقص قوتها، وسرعان ما يتبدل هذا الوضع إذا تحسنت الأنظمة الغذائية والأوضاع الصحية. أما إذا كان مردالضعف لأسباب عابرة (كالحروب مثلاً) فإن آثاره تكون محددة ويمكن تجاوزها بسرعة بعد زوال هذه الأسباب وفي الحالات التي يكون فيها البؤس والفاقة مزمنان (مستوطنان)، فإن الزيادة في عدد السكان تبلغ ارقاماً مذهلة لا يمكن أن تجاريها سرعة التطور الاقتصادي، ومثل هذه البلدان تصبح بحاجة ماسة للمعونات الخارجية لكي تقيت سكانها في حدود الكفاف(۱۰).

هذا بالإضافة إلى أن اختلاف نسبة عدد الولادات يترتب عليه نتيجة هامة: ذلك لأن نسبة عدد الشباب لعدد الكهول تتوقف مباشرة على شروط الحياة القائمة، كما تتوقف عليها ايضاً مستوى فعالية السكان ومردود عملهم، ومصادر الطاقة البشرية اللازمة للدفاع الوطني.

ومن واجب السياسة ان تتنبأ بهذه الظاهرة وان تأخبذ بعين الاعتبار، لا

¹⁰ _ يمكن اعتبسار الحالة التي تمربها كل من الهند وبنغلاديش ومصر إلى حد ما امثلة على البؤس المستوطن.

كعنصر من عناصر مشاكلها فحسب، بل لأنها قد تؤدي إلى تغيير هذه السياسة نفسها أيضاً.

وان تنوع السكان يعود ايضاً إلى تنوع طباعهم وهذه بدورها تتكون خلال عصور طويلة وتبعاً لأسباب متعددة منها: الحياة في مجتمع ما، والتجمع العرقي، والمدن، والتقاليد، واللغة، والايديولوجية، وكلها عوامل تلعب ادوارها في تكون الجماعات والأمم، وقد يطول أثرها أو يقصر تبعاً للظروف: والاسلام والمجموعة الانكلوساكسونية أمثلة واضحة على ذلك.

٢ ــ الموارد الطبيعية وغيرها: تتوقف القيمة الأساسية لبلدما على غزارة ونوعية ثرواتها. والشروة ترتبط بانتاجيتها والقيمة التجارية لهذا الانتاج. والنفوذ السياسي والقوة تعتمدان على معرفة وحسن استخدام الثروات والسلع تنتج منها.

ويمكن لبلد ما أن يكون غنياً دون ان يصبح قوياً. فكثير من المناطق الافريقية مثلاً تحتوي على ثروات هائلة غير مستثمرة حتى الآن ؛ ولهذه المناطق قيمة أكيدة ، ولكن ثرواتها ليست إلا وعداً للمستقبل ، وهناك دول تملك ثروات مستقلة من قبل دول أجنبية أخرى ، وبذلك يمكنها أن تكون غنية دون أن تبلغ القوة السياسية العالمية التي تتناسب مع ثروتها . والبتر ول اكبر مثال على ذلك (١٦) .

وعلى عكس ذلك تماماً فإننا نجد ان بلداً كتركيا، تفتقر للموارد الطبيعية ومع ذلك استطاعت ان تصبح دولة قوية بفضل موقعها الذي استثمرته بمهارة.

17 - لا اعتقد ان هذه القاعدة قطعية أوبمعنى آخر أبدية. ففي الوقت الذي تعي فيه الدولة البتر ولية قوة ثروتها وتباشر استغلالها لتطوير بلدها وتصنيعه ورفع المستوى الثقافي والعلمي والمادي لشعبها، فإنها تضع نفسها على طريق القوة وبالتالي يمكن أن تبدأ بمهارسة نفوذ دولي يتناسب مع ثروتها دون أن يكون ذلك وسيلة للابتزاز او العدوان. (المعرب).

والقوة نفسها يمكن أن تكون وهمية ومشكوك فيها إذا كانت الثروة متوقفة إلى حد كبير على المساعدات الخارجية لاستثمار الموارد(١٧٠).

والواقع، أنه في الاقتصاد الحديث ما من بلد يملك جميع المواد التي تحتاج الله المناعته، وإذا لم تقنن الدولة حاجاتها واستهلاكها، فستكون مضطرة الاستيراد بعض المواد أو المنتوجات المصنوعة لتغطية هذه الحاجات. ومن هنا يبرز عاملان أساسيان:

ـ ضرورة الانتاج من أجل البيع أو التبادل.

.. ثم الأهمية الحيوية لوسائل النقل، والتي تتضاعف الحاجة إليها لأن الاقتصاد الداخلي يتوقف عليها.

وتتميز البلدان عن بعضها البعض بالنسبة لتنوع الموارد التي تملكها كل منها. ففرنسا مثلاً حبتها الطبيعة بموارد متنوعة تؤمن اكتفاءها الذاتي تقريباً ١٠٠٠. أما فنزويلا المتخصصة بانتاج البتر ول فلا تستطيع الاعتباد على نفسها لأنها تحتاج إلى استيراد معظم ما تستهلكه من الخارج. وإذا كان التنوع يعطي للبلد ميزات كبرى في أيام الأزمات لأنه يمكنها من الاكتفاء ذاتياً مع شيء من التقنين، إلا أنه لا يخلو من المساوىء السياسية لأنه يعود الشعب على سهولة العيش ويتضمن قدراً من والأمن الوهمي، لا يتلاءمان مع روح النضال الضرورية للمنافسة على المستوى العالمي. وإلى هذا السبب يرجع تدني مستوى الانتاجية، والاعباء الضريبية المتزايدة وارتفاع تكاليف الانتاج وبالتالي صعوبة التصدير مما يترتب عليه الضريبية المتزايدة وارتفاع تكاليف الانتاج وبالتالي صعوبة التصدير مما يترتب عليه

١٧ ــ او اذا كانت القوة تعتمد أساساً على التموين باعتاد والأسلحة على الدول الأجنبية، فإنها تفقد مقوماتها عندما تتوقف هذه المساعدات والامثلة كثيرة في هذا الميدان خاصة بعد ان اصبحت بعض الاسلحة المتطور جداً محتكرة من دول كبرى معينة. (المعرب).

١٨ ـ لم يعد ذلك صحيحاً بعد تصاعد ازمة الطاقة وارتفاع اسعار البتر ول، لأنها تستورد حوالي ٥٠٪ من حاجتها الاستهلاكية للطاقة .

العجز في الميزان التجاري والتضخم النقدي والتدهور في الاقتصاد ١٠١٠.

ويجري تصنيف الموارد الطبيعية عادة في فصيلتين كبيرتين: الأولى وتشمل الزراعة والصيد بكل أشكالها، والثانية وتشمل المصادر المعدنية كالفحم والبتر ول والمعادن الأخرى المتنوعة، والصناعات المختلفة والتقنية الضرورية للانتقال من مرحلة الاستخدام. ويجب ان يفهم من هذه الأخيرة استعمال الوسائل التي تملكها البلد نفسها، والتي تحبر مصدر ثروة وقوة، وفي الصف الأول من وسائل النقل.

وقد اعتاد الفرنسيون على الا يعتبر وا النقل من بين الموارد الوطنية، لأنه في نظرهم ليس سوى «خدمات» ولكنه في الحقيقة مصدر ثروة وقوة، والدليل على ذلك الاساطيل التجارية في بريطانيا والنرويج، ووسائل النقل تؤمن دخلاً كبيراً من الأرباح الصافية التي تجنيها من العالم لخارجي كما أنها مصدر قوة لأن التوازن الاقتصادي العالمي يتوقف على مدى فعالياتها.

وعلى عكس ذلك فإن الاضطرار لاستخدام وسائل النقل الأجنبية تمثل عبئاً ثقيلًا وقد يؤدى أحياناً إلى التبعية .

واخيراً فإن استثمار بعض الموارد الطبيعية يتوقف أساساً على وسائل النقل: وهكنذا نجد اليوم أن اعظم الموارد الطبيعية اهمية وهو البتر ول يشكل ٥٠٪ من

^{19 -} هناك اسباب اخرى لارتفاع تكاليف الانتاج، وصعوبة التصدير ومن بينها ارتفاع الاجور في البلدان المتطورة والمبالغة في تقدير الارباح على الأجهزة والآلات المصنوعة خاصة إذا قورنت باسعار المواد الأولية التي تنتجها البلدان النامية، وان مقارنة بسيطة بين اسعار هذه المواد بها فيها البتر ول وبين اسعار الآلات تظهر الغبن الذي يلحق بإنسان العالم الثالث، من أجل تأمين مستوى حياة افضل للإنسان في البلدان الصناعية المتطورة، ولعل هذه النقطة من بين ابرز النقاط التي يجري الحوار عليها بين ما يسمى بالشهال والجنوب (او البلدان المتطورة والبلدان النامية) وما لم يرفع هذا الغبن فسيبقى السلام الدولي عرضة للخطر وعدم الاستقرار.

وزن المواد المنقول في العالم، وذلك لأن حقول انتاجه تقع غالباً في أماكن بعيدة عن أماكن استهلاكه.

ولا حاجة للإلحاح على المشاكل السياسية التي تطرحها الموارد الطبيعية ""، إلا أنه من المفيد التذكير بأهمية المحافظة على هذه الموارد، عما يستلزم سياسة خاصة ومتهادية زمنياً. ففي المجال الزراعي لا بد من وضع سياسة لحماية التر بة من الانجراف والتآكل أو زيادة نسبة الملوحة مثلاً. ولا بد من وجود سياسة طويلة المدى لصيانة حقول البتر ول أو مناجم المعادن الثمينة. وتجدر الاشارة إلى أن هذه المشاكل ذات صفة دائمة في زمن الحرب وفي زمن السلم وهي بالغة الأهمية بالنسبة لرجل الاقتصاد وللقائد العسكري. ومن هنا تظهر الصلة المباشرة بين الجغرافيا _ السياسية والجغرافيا _ الستراتيجية.

وأخيراً لا بد من الإشارة للعلاقات بين المسائل التي تطرحها الموارد والمسائل التي يطرحها السكان.

فالمـوارد هي في الحقيقـة من صنع الإنسان، والطبيعة لا تقدم سوى الامكانيات، ولهذا فإن قيمة الموارد الطبيعية تتوقف على نوعية الشعب وحكومته.

ومن جهة أخرى ليس هناك مورد أو مادة إلا من أجل سد حاجة معينة ، والسياسة يمكن أن تتجه إلى زيادة أو تقليص هذه الحاجة . وزيادة الحاجات من أجل زيادة الموارد هو مبدؤ دائم في سياسة الدول الغربية ، بل هو نوع من اليقين في الولايات المتحدة الأمير يكية . وعلى عكس ذلك فإن تقليص الحاجات إلى مستوى حدود امكانيات الموارد الوطنية هي المبدأ الذي تسير عليه السياسة الوسفياتية ، وتركز الجهد مباشرة على نمو الموارد ويجدد استخدامها من قبل الدولة .

٢٠ ـ لعل ابرز مثال على هذه المشاكل تلك الأزمة العالمية الحادة التي نشأت اثر دخول مفرزة من قوات المدول الكاتنجي إلى مدينة كولووزي الاسر المذي ادى إلى تدخل المظلمين الفرنسية والبلجيكيين، تعززها وسائل النقل الاسير يكية، ذلك لأن هذه الغارة تهدي المناجم الغنية بالمعادن الثمينة، التي تغص بها (كاتنجا).

٣ ـ الطاقة واشكالها الجديدة: يزداد الحديث عن الطاقة يوما بعد يوم، منذ استخدام البخار الكهرباء. وتنتج الطاقة من بعض المواد الخام وخاصة منها الفحم والبتر ول ويتطلب ذلك تحويلات متعددة. كما ان استخدام الطاقة يحتاج إلى منشآت ضخمة ووسائل نقل هائلة. وقد امكن تحقيق توازن تدريجي في سير هذه النشاطات ونموها المتصاعد. ومن بين النتائج التي تترتب على قطع هذا التوازن، الأزمات الخطيرة والحروب المدامية؛ ولهذا فإن ظهور الطاقة النووية يمكن أن يكون لها نفس التأثير على الاقتصاد، ولحسن الحظ أن هذا التأثير لا يزال حتى الآن أقل شدة وبالتالي يمكن السيطرة عليه. وسيكون بالامكان تكييف الاقتصاد بالنسبة لهذا العامل الجديد العظيم القوة، خاصة إذا كانت الدول القليلة التي تنتج هذه الطاقة، من الحكمة بحيث لا تستأثر بها لنفسها.

والواقع، إذا كان انتاج الطاقة النووية يتطلب مزيداً من الجهد والمال أكثر مما يتطلب انتاج الطاقة من البترول، إلا ان نقلها (أي المادة الخم) والمحافظة عليها أقل صعوبة.

ويصعب الآن التنبؤ بالتغيسيرات التي ستترتب على استخاءام الطاقة النووية من قبل الدول التي كانت في الماضي مفتقرة للطاقة اللازمة، خاصة إذا اصبحت تقنية الانتاج سهلة وفي متناول الجميع(٢١).

وعلى السرغم من أن السوقت لم يحن بعد لنفاذ الاحتياطي من البترول والفحم، إلا أن زيادة الاستهلاك تستوجب تخفيض انتاج بعض الحقول لكيلا تستنفذ احتياطها بسرعة، واصبح من الضروري جداً البحث عن مصادر أخرى للطاقة لأنه لا يجوز الاعتهاد كلياً على الطاقة النووية، بل يجب محاولة استنباط الطاقة من الشمس ومياه البحار وكل مصدر يمكن ان توفره الطبيعة.

٧٩ ـ ان كارثية تشرنوبيل في الاتحاد السوفياتي، والاعطال التي طرات على بعض المفاعلات النبووية في انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا، ولت على صعوبة التحكم المطلق بهذه الطاقة المتوحشة، الامر الذي ادى الى قيام الكثير من المنظمات لمقاومة انتشارها حفاظاً على سلامة البيئة من التلوث. وفي اعتقادنا أن ذلك سيؤثر على اتساع استخدام الطاقة النووية (المعرب).

وأخيراً، فإن الأحداث السياسية، والاكتشافات العلمية والتكنولوجيا، وتطور الشعوب وتمتعها بحقها في تقرير مصائرها، قد يؤدي الى تعديل جذري في شكل العالم، وأن احداً لا يستطيع التنبؤ بالمكان الذي ستحتله افريقيا مثلاً؟ والنتائج السياسية التي ستترتب على ذلك.

\$ ـ البنيات الاجتهاعية: ان عوامل الجغرافيا ـ السياسية الرئيسية ـ الثابتة منها والمتغيرة ـ التي اتينا على ذكرها، تتضمن بنيات اجتهاعية، وبنيات سياسية تحدد اطار العمل السياسي الفعلي بشكل ملموس ونافع. وتعمل السياسة دون هوادة على توجيهها، وتعمديلها وضهان استقلالها، أو على العكس، ايجاد التحالفات والاتفاقيات التي تسمح بالاشتراك في مجموعات أوسع.

وكل بنية ، حتى ولوكانت مستوحاة من بنية اخرى، تحصل وتحتفظ بصفات خاصة بها وتضفي عليها شخصيتها المميزة: وكل بنية تقام بالفعل لبلوغ هدف معين وتتكيف بموجبه ، والشيوعية نفسها لا تستطيع الافلات من هذا القانون ، فبالرغم من اعتقادها أنها أزالت كل أشر للخصائص القومية عند الشعوب التي تدور في فلكها ، فإننا نجد ان الشيوعية في يوغوسلافيا والصين سلكتا طرقاً مختلفة عن طريق الشيوعية في الاتحاد السوفياتي واحتفظتا بالطابع القومي . والبنيات السياسية المتقاربة تحمل في طياتها أسباباً للتفاهم ولاقامة أنواع

والبنيات السياسية المتصاربة محمل في طياتها اسبابا للتفاهم ولا قامه الوا متعددة من الروابط. ويبدو ذلك على شكل سياسات متشابهة وأنظمة متهاثلة.

فالديمقراطيات على اختلاف أنواعها، مثلاً، تشتمل على نقاط مشتركة تتضج تماماً في الأنظمة الملكية الدستورية، والجمهوريات البرلمانية. وهذه البنيات اكثر استقراراً، وأكثر قدرة على التكيف طبقاً للميول والمعتقدات والتطلعات التي يؤمن بها شعب ما. وهي قابلة للزوال السريع إذا كانت مفروضة من الأعلى أو من الخارج، كها أن العلاقات التي اقامتها مثل هذه الأنظمة تبقى معرضة للزوال. وتقوم البنى الاجتهاعية على النظام السياسي والتنظيم الاقتصادي، ولكنها تتأثر بالعادات والتاريخ والمعتقدات لكل شعب. وهي تحدد بشكل خاص أساليب

الحياة، التي قد تختلف نتيجة للتكيف الضروري الذي تقتضيه الشروط الجغرافية الطبيعية منها والبشرية. كما تساعد البنى الاجتماعية على التقارب واقعامة التحالفات بين الدول، وتأثيرها في هذه الميادين اقوى من تأثير البنى السياسية كما لاحظنا ذلك عند ذكر المجتمع الانكلو ـ ساكسوني .

وإن مثل هذه التحالفات (او القرابة) يتخلق على المدى البعيد، مُثلاً واهدافاً مشتركة، وتسعى لتحقيقها أو الدفاع عنها مجتمعة عند الاقتضاء.

وفي عالم اليوم ، حيث نلاحظ أن الاطار القومي أصبح أضيق من أن يؤمن السعادة اللازمة للشعوب، فإن الهدف الدائم للسياسة الخارجية لكل دولة ، هو تأمين وصيانة العلاقات الضرورية التي تضمن المزيد من السعادة لشعبها .

٣ ـ السياسة والجغرافيا ـ السياسية

ان النظرة العاجلة التي القيناها على عوامل الجغرافيا ـ السياسية، تكفي، رغم سطحيتها، للدلالة على كيفية تحديدها للمظهر السياسي للعالم. ولكن الدراسة الجدية والمعمقة لهذه المشاكل تساعد على المعرفة المسبقة لمنحى ونتائج التطورات التي ترتسم في الأفق أو التي ستظن في مستقبل قريب. كما تكشف ايضاً عن سلطة الانسان العجيبة على الطبيعة التي يقيم عليها ويستثمرها. وذلك لأن الإنسان استطاع منذ زمن بعيد أن يتكيف مع بيئاته الطبيعية، ومن ثم اخذ يكيفها تدريجياً طبقاً لحاجاته.

غير أن ذلك لايعني أن عوامل الجغرافيا - السياسية وتبدلاتها تسير طبقاً للتوقعات والتنبؤ أت المعللة جداً: فالاكتشاف المفاجىء لحقل غني بالبترول، أو التوسع غير المتوقع لتقنية ما مثلاً، قد يؤدي إلى تغييرات ويخلق مضاعفات في ميادين مختلفة جداً.

ولحسن الحيظ أن هذا «العماميل المفاجى» يندر حدوثه، ولذلك يبقى في مقدور السياسة، الحكيمة الواعية، أن تباشر عملها بشكل علمي ومعقول آخذة بعين الاعتبار ما لا يمكن تفاديه، وما يمكن أن تؤثر عليه وتضعه في خدمة أهدافها.

الفصل الثالث

الطابع الجغرافي - السياسي للعالم الحالي

يشهد العبالم اليوم انقلاباً هائلًا يغير وجه العالم بسرعة واتساع وعمق لم يسبق لهما مثيل، ولم تعرفه اعظم احداث التاريخ البشري اطلاقاً. ولا يتعلق الأمر بالتحول البطيء احدى القارات اثر غزواو احتلال أو اكتشاف! ولكنه تبدل شامل لا يفضل أية نقطة من الكرة الأرضية، وهو تطور سريع لا تكاد تدركه الابصار احياناً، ولهذا لا بدلنا من الاشارة إلى ملاعمه الأساسية لكي نوضح والطابع الجغرافي السياسي، للعالم الحالي.

لقد كان التقدم، العلمي والتقني، الخاطف، السبب الأساسي لهذا التحول لأنه اوجد المعطيات الأولية والمميزات الرئيسية للعالم الحديث.

فالتطور العظيم للصناعة، وسيطرة الانسان على الطبيعة والنفوذ المتزايد للايديولوجيات الجاعية، وخاصة منها الماركسية التي تقترح الحلول البديلة للمجتمع الاستهلاكي، والتفجر السكاني في بعض البلدان، واتساع الموة بين البلدان المتطورة والبلدان النامية، واخيراً لا آخراً الاتصالات الأنية السهلة بين

جميع نقاط المعمورة، وما يترتب عليها من روابط مادية ومعنوية، كل ذلك يضفي على هذه الخصائص صفة الثورة العميقة التي تزيد في آثارها. وبالتالي فإنها تعطي الجغرافيا . السياسية للعالم الحالي صورتها الحقيقية وملامحها الأكثر بروزاً. ونذكر فيها يلي اهم هذه الملامح:

ـ تفوق «القوى الكبرى» ورغبتها بالهيمنة، الاقتصادية على الأقل، هذه الرغبة التي تكاد تتحول إلى حاجة عادية بالنسبة اليها.

ـ تطور شعوب البلدان المستقلة حديثاً، بعد ان كانت مستعمرة ومتخلفة لزمن طويل ويتم هذا التطور بسرعة في الميدان السياسي والعقائدي، ولكنه يسير ببطء في المسادين الاقتصادية والاجتماعية بسبب الحاجة للمساعدات الخارجية. ولهذا فإن هذه الدول الحديثة تبقى عرضة للإضطرابات وعدم الاستقرار.

ـ عدم ثبات الظروف العامة، وبالتالي عدم استقرار التوازن السياسي والاقتصادي على الصعيدين الاقليمي العالمي.

- الصعوبة في حصر المشاكل داخل اطارها الاقليمي أوحصر النزاعات المختلفة ضمن حدود الخصومات الأولية.

ولهــذه الأسبـاب يمكن ان نتسـاءل عما إذا كانت العـوامـل الأسـاسيـة للجغرافيا ـ السياسية، التي اتينا على ذكرها، تحتفظ ببعض الأهمية في هذه الشروط؟

والصورة التي سنحاول رسمها بخطوطها العريضة ستساعدنا بالاجابة على هذا السؤال.

١ ـ توزيع الدول في العالم

بلغ عدد المدول المستقلة حتى عام ١٩٦٨ حوالي ١٣٠ دولمة (منهما ١٢٣ دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة). (وهي اليوم حوالي ١٦٩ دولة منها ١٥٧ دولة مستقلة).

ويمكن تصنيف هذه الدول باشكال مختلفة طبقاً للمعاير المستخدمة. وقد جرت العادة في الماضي على اعتبار المساحة وعد السكان قاعدة لهذا التصنيف، إلا أن ذلك لم يعد العنصر الحاسم في تصنيف الدول: فسويسرا البلد الصغير مثلاً يلعب دوراً عالمياً فعالاً لا يتناسب مع مساحة وعدد سكانه. ويبدو أنه من الاسلم، في هذه الأيام، تصنيف الدول حسب «وزنها» الفعلي في المجموعة الدولية، أي حسب قوتها العسكرية والاقتصادية التي تحدد قوتها السياسية.

وتقسيم الدول إلى مجموعات، يتم على اساس الايديولوجيات والمصالح المشتركة والمواقف التي تتخذها من قضايا السلام وتوازن القوى في العالم.

وقد اختلف هذا التصنيف اختلافاً عظيم الدلالة منذ حوالي نصف قرن. وندرج فيها يلي نموذجاً لهذا التصنيف موضوعاً على اساس أهمية الدول وقوتها منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الستينات من هذا القرن:

. ۱۹۸٤: فرنسا، انكلترا، المانيا، روسيا، الولايات المتحدة الأميريكية، اليابان.

. ۱۹۲۰: انكلترا، فرنسا، الولايات المتحدة الأميريكية، اليابان، ايطاليا.

_ ١٩٣٩: المانيا، انكلترا، المولايات المتحدة الأميريكية، فرنسا، الاتحاد السوفياتي، ايطاليا.

. ١٩٥٠: الولايات المتحدة الاميريكية، الاتحاد السوفياتي، انكلترا، فرنسا، ايطاليا، المانيا الاتحادية، الصين.

. ١٩٦٨: الولايات المتحدة الاميريكية، الاتحاد السوفياتي، المانيا الاتحادية، اليابان، الصين الشعبية، انكلترا، فرنسا، ايطاليا.

ومن الجدير بالذكر أن تصنيف الصين لا يخلومن الصعوبة - لأنها في طريقها لتصبح «العملاق الثالث» بعد الولايات المتحدة الأمير يكية والاتحاد السوفياتي فإن «وزنها» الحالي من حجمها (الطبيعي والبشري) ومن قوتها العسكرية، اكثر ما يتكون من تطورها الاقتصادي الذي لا يزال بطيئاً.

ويعتمد التبدل في هذا التصنيف، على عنصر جديد فالحرب العالمية الشانية، قلبت موازين القوى في العالم، كما أن القفزات الهائلة التي حققتها الصناعة والتكنولوجيا، جعلت «الدولتان العملاقتان» تتبوآن مكانة الصدارة منذ نهاية الحرب حتى الآن، بسبب ضخامة مواردهما وتعدد وسائلهما الامر الذي اصبح ضرورياً للوصول إلى «القوة الحقيقية».

وكان من نتيجة هذه الحرب أيضاً انهيار المانيا واليابان ولكنها سرعان ما استعادتا قوتها الاقتصادية والتكنولوجية، واخذتا تتطوران بخطا جبارة ساعدتها على اللحاق، بل وتجاوز الدول المنتصرة، باستثناء القوتين العظميين (امريكا والاتحاد السوفياتي)، ولكن هاتين الدولتين لم تعوضا قوتها العسكرية بسب معاهدات الصلح التي فرضت عليها بعد الحرب(۱).

وادى انحسار الاستعبار القديم إلى تصفية الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وتحول هاتين الدولتين إلى «دول متوسطة». وفتح المجال لظهور محموعة البلدان المستقلة حديثاً (او ما يطلق عليه اسم العالم الثالث).

ولا ريب أن هذه التغييرات كان لا بدلها وأن تحدث تدريجياً، غير ان الحرب العالمية الثانية ومضاعفاتها أعطت لهذا التحول طابعاً ثورياً.

ومع ذلك يمكن القول ان تراجع اوربا الغربية لصالح العملاقين، وتخلي دول هذه المنطقة عن الزعامة، بعد أن كانت لعدة قرون خلت مركزاً للإشعاع

١ - في المسكري اصبحت المسائيا الاتحادية عضواً كاملاً في حلف الأطلسي منذ عام ١ - في المسلمة في المسكري اصبحت المسائية وتسليح جيشها واصبحت الآن في مقدمة بلدان اوربا الغربية بالأسلحة الكلاسيكية.

أما اليابان فقد هيأت لها الحرب الكورية اولاً، ثم انسحاب الولايات المتحدة الامريكية من فيتنام الجنوبية، وكمبوديا عام ١٩٧٥، الظروف الملائمة لاعادة تنظيم وتسليح قواتها المسلحة. وهي تستعد الآن لاملاء الفراغ في منطقة جنوب شرقي آسيا بالتعاون الوثيق مع القوات الامريكية الجوية والبحرية.

والقوة في العالم - سيبقى نسبياً إذا اخذنا بعين الاعتبار الوسائل والتكنولوجيا الحديثة ، علماً بأن هذه الوسائل أيضاً يجب ان تتناسب طرداً مع الأبعاد الجديدة للمشاكل العالمية المتنوعة ، والمستلزمات البحرية والجوية المتزايدة .

ولهذه الأسباب كلها فإن توزيع الدول على القارات يُعتبر ذا فائدة كبيرة في هذه الدراسة.

واللائحة التالية تعتمد على الأرقام والاحصائيات المنشورة عام ١٩٦٧:

عدد	السكان	المساحة	القارات
الدول	بالملايين	بالف كم	
77	٦٢٠	١.	اوربا والاتحاد السوفياتي
٣	077	41	امريكيا الشهالية
١٢	0 7	٧,٧	امريكا الوسطى
11	177	١٨	امريكا الجنوبية
44	14	80	آسيا
£ Y	٣١٠	٣٠	افريقيا
Y	١٥	١.	استراليا

وهكذا تلاحظ أن اوربا الغربية قليلة المساحة وكثيفة السكان نسبياً، ويمكن اعتبارها «شبه جزيرة» بالنسلة لـ «اوراسيا»، كها تشكل عقدة طرق هامة. وقد بقيت هذه القارة مقسمة بالاستناد إلى نظام سياسي قديم وقوي، افرز القوميات المعروفة الآن، واستطاعت هذه القارة خلال عدة قرون أن تنشر الروح القومية، وتنظيم العبقرية العلمية والمنجزات التقنية، في كل مكان من الكرة

الأرضية، وبذلك اغنت العالم الحديث بحضارتها. وإن نظرة فاحصة للكرة الأرضية تظهر لنا حقيقتين اساسيتين:

- الحقيقة الأولى: تتعلق بالمناطق القارية الشاسعة التي تحتلها بعض البلدان مثل: الاتحاد السوفياتي - والصين، والهند، والولايات المتحدة الأمير يكية وكندا، والبرازيل والأرجنتين.

- والحقيقة الثانية: تتعلق بعقد المواصلات للطرق البرية والبحرية الكبرى والمناطق الساحلية التي تشغلها مجموعة من الدول المتوسطة والصغيرة، وهي على العموم كثيفة السكان، وغالباً ما تكون نشيطة او مضطربة كما هي الحال في اوربا الغربية، والشرق الأوسط وامريكا الوسطى وجزر الأنتيل، وهي كذلك بالنسبة لسلسلة الجزر الممتدة على طول الساحل الجنوبي للقارة الآسيوية من البحر الأهرحتى اليابان.

ولهذه الأسباب ذاتها لم تكن الكتلة الافريقية تحتوي، حتى عهد قريب، إلا العدد القليل من الدول المستقلة الواقعة على محيطها وذلك لأن العلاقات مع القارات الأخرى كانت ممكنة منذ القدم.

وكان من نتيجة التحرر من الاستعمار قيام عدد كبير من الدول المستقلة الضعيفة في القارة الأفريقية: واصبحت هذه القارة ممثلة بها يزيد عن ٤٢ دولة في هيئة الأمم المتحدة، أي ما يعادل ثلث مجموع أعضاء هذه المنظمة تقريباً، مع العلم بأن عدد سكانها لا يتجاوز نسبة ١٠٪ من سكان العالم.

وان مستقبل هذه الدول ستحدده، ولا ريب جزئياً على الأقل، العلاقات المباشرة وغير المباشرة بقارات آسيا واوربا وامريكا عبر المحيطين الهندي والأطلسي.

أما القسم الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية فهو اقرب إلى الشرق الأوسط منه إلى افريقيا، لأن الموقع الجغرافي كان ولا يزال عاملًا حاسماً في مصير بلدان هذه المنطقة التي تشكل نقطة اتصال ذات أهمية عالمية.

وأخيراً فإن الصحراء الكبرى تجعل من بلدان شمال غرب افريقيا (اوما

يسمى بالمغرب العربي) «جزيرة مغربية» يتطلع سكانها دائماً إلى المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ومن هذه الناحية تشبه إلى حد كبير اسبانيا.

٢ _ من الامبراطوريات الاستعمارية إلى العالم الثالث

سوف لن يشمل هذا العنوان سوى البلدان الواقعة ضمن اطار ما يسمى «بالعالم الحر» لأنه لم يلاحظ -حتى الآن أي نوع من التطور الماثل يرتسم داخل الكتلة الشيوعية، رغم ان الاتحاد السوفياتي والصين شكلتا من الدول التابعة لكل منها «امبر اطوريات استعارية حقيقية» (١) تسير بارادة سياسية موحدة ويحدد لكل دولة فيها الدور والمكان الذي يجب أن تشغله.

وإذا كان من الشابت فعلًا ان قوانين الجغرافيا ـ السياسية تحكمت بمصير العالم اجمع فاحدثت فيه كل التيارات التي ادت للتفجر والتجزئة او التجمع، فإن التاريخ الحديث أثبت حتى الآن الاتحاد السوفياتي والصين (كل في منطقة نفوذه) يدمران كل محاولة بهذا الاتجاه وبالقوة عند اللزوم.

كانت المستعمرات ترتبط فيسها بينها ضمن إطار الامبراطوريات الاستعهارية، على شكل مجموعات غير واضحة الحدود، واحياناً ترتسم حدود بعضها بشكل مصطنع، بموجب اتفاقيات مع القوى الاستعهارية. وغالباً ما كان هذا الوضع في صالح الشعوب المستعمرة بسبب المستوى البدائي الذي كانت

٧ - هذه الأراء هي للمؤلف وهي تبرز النظرة التي ينظر بها المسسولون في الغرب لدول المديمقراطيات الشعبية، أو الدول التي اختارت الأنظمة الشيوعية وارتبطت مع الاتحاد السوفياتي أو الصين بمعادهات عسكرية واقتصادية، والا يفهم من تعريب الكتاب اننا نشاطر المؤلف هذه الأراء، وان الأمانة تقتضى منا تعريبها حرفياً.

⁽المعرب)

٣ ـ يسمى هذا النوع من الاتفاقيات، بالاتفاقيات غير المتكافئة أو غير النزيهة.
 وأبرز الأمثلة عليها تلك الحدود الموهمية التي رسمها الاستعبار البريطاني بين امارات وبحميات (الخليج العربي).

عليه. اما مساوىء هذا التنظيم فتنتج عن الرغبة احيانا بتجميع خليط من شعوب مختلفة، بل وبتعادية، بهدف تحقيق نوع من التكامل الطبيعي أو الاقتصادي أو بسبب الظروف الجغرافية _ السياسية لتدعيم الامكانيات التجارية ورفع مستوى الانتاج وتنظيم الدفاع المشترك. ويمكن أن نلاحظ فيها بعد، كيف حدثت الانتفاضات مباشرة بعد التحرر من الاستعهار.

وقد شجع الصراع بين الكتل العسكرية والاقتصادية هذه الانتفاضات، خاصة وان مشاعر الاستقلال لم تصل بعد إلى المستوى الذي يطغى الخصومات بين القوميات، والاحقاد العرقية الطائفية والقبلية القديمة.

ان تنظيم الحياة الحديثة الشديدة التعقيد والتفوق المطلق للقوى الصناعية المتطورة، أديا إلى خلق نوع من الامبر اطوريات الاقتصادية المسترة حلت على التقسيمات القديمة للعالم. وهي لا تشبه «الممتلكات» التي كانت معروفة في الماضي، ولكنها تقوم على الهيمنة المالية والتجارية، واحياناً السياسية والعسكرية وهذه الامبر اطوريات لا تمثل بألوان مختلفة على الخرائط الدولية ولكنها تقرق من خلال الاحصائيات. المتنوعة.

وان الصراع بأشكاله المختلفة للحصول على مثل هذه الهيمنة، لا يقل شأناً وحده عن المجابهات الاستعارية التي عرفت عبر التاريخ وان كان يختلف عنها بوسائله؛ والتشابه بين هذا الاستعار الحديث وبين الاستعار القديم يمتد إلى ميادين اخرى؛ فالدول المسيطرة تتحمل اعباء ومستوليات في مستوى امبر اطورياتها كها كان الأمر في الماضى.

والواقع انه في كلتا الحالتين تحتاج البلدان «الخاضعة للنفوذ» إلى مساعدة البلدان «المسيطرة» لكي تحيا وتتطور لأنها لا تستطيع تحقيق ذلك بوسائلها الذاتية، وهذه المساعدات قد تكون «نزيهة» ولكنها في أغلب الأحيان «مغرضة».

وهكذا نرى ان نضال الدول الحديثة في سبيل العيش الكريم محوطاً بالمصاعب في عالم لا يعرف الرحمة. يضاف إلى ذلك تلك الشروط والالتزامات المصاعب عليها مقابل المساعدات الخارجية (بصرف النظر عن النظام السياسي

والايديولوجي الذي اختارته لنفسها)؛ ولهذا فإن هذه الدول تخضع لتأثير الشروط الجغرافية _ السياسية والجغرافية _ الستراتيجية أكثر مما تخضع لها الدول القوية .

ومن هنا تأتي المجموعات التي تحدثنا عنها سابقاً والتي تمليها عوامل ثلاثة حاسمة هي:

أولاً: الشروط الطبيعية، ثانياً: الاختيار السياسي الذي يتأثر بالصداقة والمصير المشترك، أو التبشير العقائدي. ثالثاً وأخيراً: شبكة المصالح والروابط اللغوية والثقافية التي قد تكون أحياناً الارث النبيل لامبر اطورية ما وتخلق نوعاً من العمومة بين الشعوب.

وهكذا نجد ان في القارة الافريقية وحدها حوالي اثنا عشر منظمة ، تشكل فيها بينها مجموعات ذات صلة بالغرب أو الشرق ، لأنها لن تستطيع قبل زمن طويل تكوين عنصر متجانس قادر على فرض نفوذه على التوازن الدولي بالاعتهاد على قوته الذاتية .

وهذا لا يعني ان الاتحاد بين الدول أمر غير مرغوب فيه أو أنه عديم الفائدة.

وطبيعي أن يقودنا هذا البحث إلى التساءل عما يمثله «العالم الثالث» في المجتمع الدولي، وأية قيمة لوحدته ضمن هذه الشروط؟

من المعروف ان اصطلاح «العالم الثالث» اعطي للتعبير عن الدول النامية في المؤتمر الافريقي ـ الاسيوي الذي عقد في باندونغ عام ١٩٥٥. وكان ذلك كنتيجة للوعي المشترك للدول التي ساهمت في هذا المؤتمر.

ومن المعروف أيضاً أن مؤتمر ثانياً لهذه الدول كان من المفروض ان يعقد في الجسزائسر بنفس ذلك العام ليجدد مؤتمر باندونغ ويوسع أهدافه. ولكن هذا المؤتمر انفك حتى قبل انعقاده، لكثرة الخلافات بين المؤتمرين ".

٤ .. وقيد صادف موعد انعقاد المؤتمر في العاصمة الجنائرية قيام الحركة التي تزعمها الرئيس
 هواري بومدين ضد السيد احمد بن بلللا.

ونحن لا ندعي هنا حصر مبر رات الاحداث التي وقعت في الفترة الواقعة بين موعد هذين المؤتمرين، ولكنه ثبت أن من بينها أسباب جغرافية ـ سياسية، لذا فسنحاول ان نفرد لها مكاناً في هذه الدراسة.

ان المواقع التي تحتلها بلدان العالم الشالث، فوق سطح الكرة الأرضية تستحق كل الاهتهام، لأنها توضيح بشكسل جيد، الخصائص المستركة، والتناقضات، بين الدول التي يتكون منها هذا العالم.

لقد سبق وأشرنا إلى التنوع الداخلي في القارة الافريقية رغم كتلتها الطبيعية المتماسكة ، ونشير هنا إلى الطرف الجنوبي لـ «اوراسيا» بأشباه جزره وحزام الجزر الذي يحيط به ، كها نشير إلى البلدان الاستوائية في أمريكا الوسطى وجزر الانتيل ، ونلاحظ ان لهذه المناطق جميعها صفات مشتركة : كالمناخ الحار الذي غالباً ما يكون مدارياً أو استوائياً ، والمنتجات المتشابهة ، القليلة التنوع في كل بلد على حدة ، والتي قد تكون احياناً ذات مردود ضعيف ، وإحياناً اخرى شديدة الغزارة ، وهذا يعني انها غير متوازنة بالنسبة للاقتصاد الحديث . وهناك بعض البلدان التي تحتوي على ثروات معدنية وبتر ولية هائلة يصعب استثهارها محلياً بسبب فقدان التكامل الاقليمي (وهذا يعني ان النشاط الصناعي ضعيف في جميع هذه البلدان وقد يصبح ممكناً بسبب التطور) ؛ وفي هذه البلدان اعراق وحضارات مختلفة تماماً ، وغالباً ما يكون سكانها متخلفين من النواحي العلمية والتقنية والثقافية .

إن هذه الصفسات المشتركة لا تقلل اطلاقاً من الاختلافات الكبيرة والتفاوت بالامكانيات والصفات الجوهرية لكل بلد منها، والمواقف الخاصة والأدوار المتنوعة التي تتخذها في الميدان العالمي.

ومع ذلك فإن جميع بلدان العالم الثالث تشترك في صفة أساسية ألا وهي: «التخلف الاقتصادي والاجتماعي».

ومن الجمديس بالذكر أن هذا التخلف لم يتوقف عند حد بسبب التقدم بل على العكس تمامساً لأن الهسوة تزداد يوماً بعد يوم بين البلدان النامية والبلدان

المتطورة، ويسزيد في خطورته ان سكان هذه البلدان اخذوا يعونه ويقدرونه حق قدره بعد حصولهم على الاستقلال السياسي!

والتخلف هو المعوق الخطير في عالم اليوم والغد.

لقد استغلت الايديسولسوجيات وعي الشعوب في البلدان النامية ، فأثارت عواطفهم إلى درجة الهيجان والثورة على الاستعهار. وذلك باقناع هذه الشعوب أن تخلفهم والبؤس الذي يعانونه انهاكان بسبب استغلال القوى الاستعهارية التي فرضته عن سابق اصرار وتصميم .

وإذا لم يكن من حقنا هنا ادانة هذه العواطف إلا أن الموضوعية تقتضي منا التنويه بان «الكراهية للاستعار» كانت القاسم المشترك والمناخ الذي قامت عليه الموحدة الأولية للعالم الشالث، لذلك كانت الوحدة «ضد حالة تعود للماضي» ووليست إلا في حدود ضئيلة جداً، في سبيل شيء جديد ملموس وعدد بالنسبة للمستقبل، اللهم إلا ما يتعلق بالاختيار السياسي والايديولوجي».

وهذا يعني أن والوحدة المعنوية للعالم الثالث، كان ينقصها منذ نشأتها ارادة حقيقية من الأفكار البناءة التي تشكل الملاط الوحيد لوحدة متينة تصمد على المدى الطويل. وإذا علمنا أن الكثير من العوامل التاريخية والاقتصادية بالاضافة إلى عدد آخر من شروط الجغرافيا ـ السياسية قد اهملت، يمكن أن نفهم جيداً النزاعات الداخلية التي ظهرت فعلا، او التي في طريقها للظهور في قلب العالم الثالث والمجموعات الاقليمية الجديدة المنتمية له.

ولهذه الأسباب نجد ان معظم المنظهات والمجموعات الاقليمية في العالم الشالث تعاني من أزمات حادة داخلية ، وعليها أن تثبت جدارتها وقدرتها على تخطي هذه العقبات على الرغم من أن الشروط والعوامل المختلفة التي اشرنا اليها لا تعزز هذه التجمعات ولا تقيم وزناً كبيراً للاختيارات السياسية والايديولوجية . ويمكن القول أن طبيعة الأشياء ستفرض نفوذها تدريجياً فتعدل وتضعف على الأقل مده الاختيارات المذهبية . وسنأتي فيها بعد على ذكر بعض الحالات التي وقعت فعلاً أو الحالات المكنة والمواقف المتبدلة التي لوحظت حتى الآن .

فقد لوحظ في السنوات الأخيرة بعض الانعطافات التي كانت تحدث مباشرة احياناً، وترتدي احياناً اخرى طابعاً مأساوياً، كها حصل في الهند واندونيسيا وفي عدد من البلدان الافريقية التي تخلت عن المساعدات الشيوعية. بعد ان تبين لها ان هذه المساعدات تثير الكثير من المشاكل ولا تتلاءم مع حاجاتها الحقيقية. لذلك فضلت العدول عنها والعودة إلى العلاقات الطبيعية (كذا) المجربة (").

وإذا كانت «كوبا» قد استطاعت الصمود والاستمرار بالعيش حتى الآن معتمدة على الاتجاد السوفياتي، ومنفصلة تماماً عن العالم الأمير يكي الذي هو عالمها وكل شيء يربطها بها، فإن هذه الارادة السياسية مناقضة تماماً للجغرافيا للسياسية، على الاصعدة الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ولا يمكن أن تستمر لزمن طويل، وهذا هو شأن الزواج غير الشرعي بين «البانيا» والصين. . ".

واخيراً، فإن احداً لا يستطيع التنبؤ اليهم، بالأسس التي سيقوم عليها

- عا لا شك فيه أن هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال، غير ان فلك في اعتقادنا لا يشكل برهاناً كافياً على عدم جدوى التعاون بين البلدان النامية والبلدان الاشتراكية. والمحكس صحيح، وما لم يحدث تبدل جوهري في العلاقات بين بلدان العالم الثالث من جهة وبين البلدان الغربية الصناعية المتطورة - بحيث تقوم على مبادىء العدالة والتكافؤ والمساواة الفعلية، ومراعاة المصالح الخاصة بكل الأطراف، فإن العلاقات القديمة لا زالت حتى الآن في غير صالح البلدان النامية لأنها تقوم على القوة والاستغلال، وإن العلاقات مع البلدان الاشتراكية تعطي على الأقبل للبلدان النامية الامكانية للاختبار والمساومة والصمود في وجه الشخوط المتنوعة التي كثيراً ما تلجؤ اليها الدول الاستعبارية.

(المعرب)

٦ - الواقع ان هذا الزواج بدأ بالتفكك، بل هناك أكثر من مؤشر في الأيام الأخيرة، يدل على انه يتجه بسسرصة نحو الطلاق، خاصة وقد اشارت الأخبار إلى وقوف البانيا إلى جانب فيتنام في صراعها مع كمبوديا التي تدعمها الصين.

(المعرب)

«التوازن الثابت» في هذه المجموعة الدولة المتنوعة ، والتي نطلق عليها اسم «العالم الشالث» فبالسرغم من أن هذا التوازن مطلوب ولكنه يحتاج إلى التبدل والتطور الضمروريين في البدان النامية ؛ وإلى أن يحدث ذلك فإن الوضع العالمي سيبقى معرضاً إلى خطر مزدوج ، لأن العالم الثالث يشكل ميداناً مثالياً للصراع بين كل القوى التي تتطلع للهيمنة والقوة ؛ أما إذا استمرت هذه الحالة الخطرة مدة طويلة فإنها ستؤدي حتماً إلى ردود فعل عنيفة جداً من الشعوب الفقيرة .

والخلاصة: اننا نعتقد أنه من الضروري أن تقوم الدول الفنية المتطورة بتقديم مساعدات دائمة واساسية للدول النامية، شريطة أن تنظم وتستخدم بشكل «ذكي»!!.. إذا ما اردنا ان نجنب العالم خطر هذه الاضطرابات وإذا كنا نرغب استمرار التقدم العالمي في ظلال السلام.

٣ _ الكتل والاحلاف الاقليمية

ليس من الضروري التذكير في هذا البحث الموجز، بمنشأ «الكتلتين» الكبيرتين، «الشيوعية» و «الغربية» ولا بنوع الخصومة القائمة بينهما، ولكن لا بد من الإشارة إلى الطبيعة الايديولوجية والعالمية لهذه الخصومة.

والواقع ان والكتلة الشيوعية، هي في الأساس قارية ومتهاسكة وضخمة، ولكنها كشيرة التنوع من الناحيتين الطبيعية والبشرية، وتشكل وموقعاً مركزياً، من قارة اوراسيا، يعزلها الجليد القطبي في الشهال، وتعزلها سلسلة جبال هيهالايا واستطالاتها في الجنوب، بالإضافة إلى أنها مفصولة ارادياً عن بقية العالم بواسطة والجدار الحديدي، في الغرب وجدار البامبو (مقصب الخيزران) في الجنوب

٧ - اصبح الحديث عن «الجدار الحديدي» او «جدار البامبو» غيرذي موضوع ، لأن ما يسمى
 بالكتلة الشيوصية لم تعد كتلة واحدة بعد القطيعة بين الصين والاتحاد السوفياتي ، من جهة ، ولأن
 جيع البلدان الاشتراكية بها فيها الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، تقيم علاقات واسعة
 ومتنوعة مع جميع الدول بصرف النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية ، وتفتح حدودها للزوار -->
 ومتنوعة مع جميع الدول بصرف النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية ، وتفتح حدودها للزوار -->

السّرفي. وإدا استثنينا سواحل سيبيريا القاصية المطلة على المحيط الهادي ومنطقة مورمانسك المتحررة من الجليد طيلة أيام السنة والمطلة على بحر بارانت في الشيال؛ فإن الاتحاد السوفياتي ليس له أي منفذ مباشر للبحار المتفوحة؛ فالبحر البلطيقي، والبحر الأسود هما بحران داخليان تتحكم بها المضائق التي تسيطر عليها «الكتلة الغربية» أما الصين فهي، على عكس الاتحاد السوفياتي تماماً، مفتوحة على المحيط الهادي.

وهذه الصفات الأساسية لها ميزات ايجابية، ومساوىء جدية منها:

- امكانية العثور في مثل هذه الأراضي الشاسعة والغنية بالثروات البشرية والمادية، على كل ما هو ضروري للحياة الاقتصادية؛ كما يمكنها الاكتفاء بطرق المواصلات الداخلية عند الضرورة.

- الحدود الطويلة جداً، وفي أغلب الأحيان تكون قابلة للنفوذ وعاطة ببلدان يجب الاشراف عليها أومراقبتها بل واحتواءها إذا لزم الأمر؛ ومن هنا تظهر الحاجة للاحتفاظ الدائم بالقوات العسكرية والوسائل الأخرى الضرورية في مناطق الحدود.

ـ صعوبة الانتشار البعيد حتى في عصر الطيران.

وقمد ادى هذا الموضع بالاتحاد السوفياتي إلى استثناف السير على سياسة

والسواح من مختلف بلدان العسالم، بل وتسمح ضمن حدود معينة لمواطنيها بزيسارة البلدان الأجنبية، ولا يكاد يمر يوم إلا وتقيم فيه هذه الدول علاقات من نوع معين مع البلدان الغربية

(المعرب)

٨ - جدار البامبو: اشارة المستنفعات الكثيفة التي كان تفصل فيتنام الشهالية الشيوعية، عن فيتنام الجنوبية، ومنطقة الخمير الحُمر عن كمبوديها الرجعية ـ وقد انهار هذا الجدار بعد انسحاب القوات الامريكية عام ١٩٧٥ من هذه المنطقة وامتدت حدود الكتلة الشيوعية إلى شواطىء الهند الصينية الجنوبية في المحيط الهادى (المعرب).

والبلدان النامية.

القياصرة التقليدية وتعزيزها، لأنها تتفق تماماً مع «مذهبه الثوري العالمي» واهدافه التوسعية. وترتب على ذلك ما يلي:

_ العزلة الكاملة للبلدان الاشتراكية.

-خلق حزام عازل على طول الحدود في آسيسا واوربا، من الدول التي تخضع طوعاً أو كرهاً للاتحاد السوفياتي. ومن هنا يبدو للاتحاد السوفياتي ان جميع الاحلاف التي شقدتها الدول المحيطة به، تشكل تهديداً مباشراً له. وهذه الاحلاف هي: الحلف المركزي (ايران تركيا، والباكستان)، وحلف الاطلسي (الذي يضم خسة عشر دول)(1). ولهذا السبب اقام الاتحاد السوفياتي حلف وارصو(1) ويسعى جهده للحرص عليه.

- التطلع باستمرار للسيطرة على المضائق وخاصة مضيق البوسفور والدردنيل الذي يعتبر المنفذ الوحيد للاتحاد السوفياتي إلى البحر الأبيض المتوسط

و ـ يضم حلف الأطلسي OTAN الدولة الأتية:

المولايات المتحدة الامريكية، كندا، المملكة المتحدة، فرنسا، لوكسمبورغ، النرويج، الدانمرك، بلجيكا، هولاندا، المانيا الاتحادية، ايطاليا، اليونان، البرتغال، ايسلندا، تركيا.

وقد انشىء هذا الحلف بموجب اتفاقية واشنطن التي وقعت في ١٩٤٩/٤/٤.

وهدف الحلف

تدعيم التعاون بين الأعضاء وتأمين الدفاع الجهاعي خاصة عن طريق وحدة القيادة، والانتاج الالحزبي المنسق والمنشآت الدفاعية المشتركة، وتوزيع المهات، والادوار بين الأعضاء، مما يعزز الحلف المشاورات السياسية للسعي لاقامة الانفراج في اوربا والسلام الدائم في العالم.

١٠ - حلف وارصون انشىء هذا الحلف بتاريخ ١١/٥/٥/٥ ووقف كل م: المانيا المديمة راطية ، وهنغاريا والبانيا (التي انسحبت منه نهائياً فيها بعد) وبلغاريا وتشكوسلوفاكيا ، والاتحاد السوفياتي وكانت الصين عمثلة فيه كعضو مراقب إلى ان احصلت القطيعة النهائية بينها وبين الاتحاد السوفياتي .

وهدف الحلف: التعاون العسكري في حالة قيام عدوان مسلح في أوربا.

والاشراف عليه يجعل الاتحاد السوفياتي دولة متوسطية. كما يتطلع السوفييت بنهم لشواطىء بحر البلطيك التابعة لبولونيا والمانيا وقد سعوا في الماضي للوصول إلى البحر المتوسط عن طريق السيطرة على يوغوسلافيا(١١)، وباشعال الثورة في اليونان(١١) وقد فشلت هاتين المحاولتين.

ويمكن ان نستخلص من هذه المسلاحظات بعض الحقائق الجغرافية - السياسية البالغة الأهمية: فقد ادخلت الدانمرك والنرويج لحلف الأطلسي لأنها يحميان مدخل بحر البلطيق، وادخلت تركيا لهذا الحلف لأنها تسيطر على مداخل البحر الاسود.

ومن ناحية أخرى فإن تحول يوغوسلافيا إلى التيتوية وتبنيها لسياسة عدم الانحياز، وانسلاخ البانيا عن حلف وارصو، اصابا الاتحاد السوفياتي بصدمة كبيرة وخيبة أمل، لأنه حرم من الموقع البحري على البحر المتوسط بعد أن كان في متناول يده.

وبالرغم من اننا لا نتكلم هنا عن الصين الشعبية التي سنتكلم عنها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إلا أنه لابد من الاشارة إلى ان النزاع الايديولوجي بينها وبين الاتحاد السوفياتي لايعني انفصالها نهائياً عن الكتلة الشيوعية، لأن طبيعة نظامها لا يزال شيوعياً، وسوف نرى في مكان آخر كيف ان النزاع الحقيقي بين هاتين الدولتين يرجع لاسباب ملموسة لا صلة لها بالايديولوجية (١٢).

11 ... انسحبت يوضوسلافيا من الكوفترن في حزيران ١٩٤٨ ، وتبنت سياسة عدم الانحياز اعتبارا من عام ١٩٥٧ .

١٧ .. نظم الشيوعيسون في اليسونان من الانصار لمقاومة الاحتلال الالماني، وبعد انسحاب هؤلاء عام ١٩٤٤، اشر نزول القسوات السبر يطسانية لشبسه الجسزيرة اليونانية حاول الشيوعيون اسقاط الحكم الملكي في اليونان واستمرت ثورتهم حتى عام ١٩٤٦ عندما عقدت الحدثة بين الأحزاب المتصارعة وهذه الحدثة التي مهدت لعودة الملكية لليونان.

١٣ - لقد اختلف الوضع بين الصين والاتحاد السوفياتي منذ القطيعة وتحول في نهاية السبعينات
 إلى عداوة صريحة ـ دفعت العسين إلى مقاومة النفوذ السوفياتي بكل الوسائل وفي كل مكان

أما «العالم الحر» فيشتمل على «الكتلة الغربية» والدول التي تنادي ببعض الحياد ومن بينها دول تنتمي للعالم الثالث.

ومن المؤكد ان اصطلاح والكتلة الغربية الا يكفي اطلاقاً للتعبير عن مجموعة الدول المنفصلة جغرافياً ، والتي يحتفظ كل منها لنفسه بحرية الاختيار ؛ إلا أن كثرة استعمال هذا الاصطلاح اعطاه المعنى الملائم والمعارض للكتلة الشيوعية .

وبلدان «الكتلة الغربية» على عكس بلدان الكتلة الشيوعية مبعثرة وموزعة على القارات الخمس، وهي تشكل في أوربا الغربية فقط مجموعة متهاسكة سبب الحدود المشتركة والتاريخ والمصاهرة المعنوية، والأنظمة الاقتصادية المتشابهة والتهديدات المتنوعة المشتركة التي تتعرض لها.

وعلى الرغم من ان بعض دول الكتلة الغربية لا تزال تصنف بين «الدول الكبرى» على صعيد السياسة الدولة ، إلا أن جمع دول هذه الكتلة اصبحت في السواقع «دولاً متوسطة» أو صغيرة باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي تشكل وحدها «عملاقاً حقيقياً» وان وحدة هذه الدول تقوم على دعامتين أساسيتين: الأولى باعتباها مجتمع انساني مشالي متحضر، والثانية: ان جميع أنظمتها ذات طبيعة سياسية واقتصادية وعسكرية متهاثلة .

وان الحيساة في كل من هذه البلدان تتسوقف على البلدان الأخسرى وعلى التبادل المتنوع بين الجميع لأن ذلك هو القانون الذي يفرض نفسه في عالم اليوم.

وهكذا نجد ان المعطيات التي اوجدتها العوامل الجغرافية - السياسية لا بد لها أن تتفق وان تتكامل. وهذا يعني أن الانسان يعمل خاصة مدفوعاً بارداته السياسية والسيطرة على الطبيعة، التي زوده بها التقدم، سعياً وراء تغيير الوقائع

تستطيع الوصل اليه. واخذت بعد زيارة الرئيس نيكسون لبكين، تطور علاقاتها مع الولايات المتحدة وتسعى بكل الوسائل لتمتين علاقاتها باوربا الغربية واليابان لتحكم الحصار على الاتحاد السوفياتي، وهناك بعض الدلائل التي تشير عن احتهال نشوب صراع مسلح بين الفيتنام الذي يقف من ورائها السوفييت وكمبوديا التي تساندها الصين.

الجغرافية الطبيعية أو التاريخية التي كانت تشكل عقبات كداة تمنعه من التطور خلال قرون طويلة ، وإن يقيم بدلاً عنها روابط وصلات افضل تبدوللأجيال القادمة وكأنها طبيعة .

ان هذه الأفكار التي اوردناها، تقودنا للإشارة إلى «طبيعة الكتلة الغربية» التي ليست حكراً لها وحدها، ولكن لأنها أساسية في تكوينها أكثر مما هي في غيرها من الكتل!.

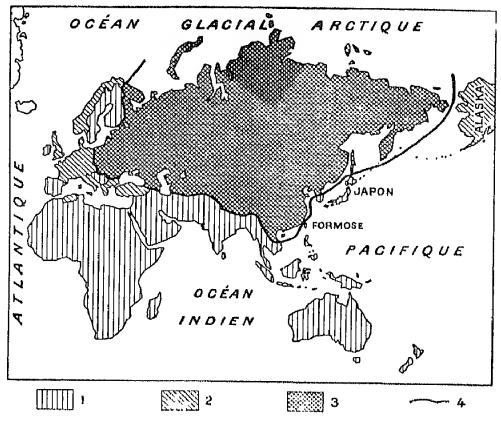
فالكتلة الغربية لم يكن بالامكان قيامها أو تطورها إلا على اساس الروابط والمؤهلات التي تربط بين اعضائها عبر القارات والمحيطات. وإذا كان وغزو الفضاء» قد ساعد على ربط معظم نقاط الكرة الأرضية ببعضها فإن الاتصالات والنقل الجوي (للبضائع والأفراد) ستبقى محدودة وياهظة التكاليف، كها ان احجامها واوزانها محدودة، ويختلف الأمر بالنسبة للنقل البحري الذي اصبح وأساسياً» للمبادلات التي لا بد منها للاقتصاد العالمي الحديث، ليس بالنسبة للبلدان المنفصلة جغرافياً بواسطة البحار فقط، بل وبين بلدان القارة نفسها. والدليل على ذلك أن البحر هو الذي يربط بين بلدان البحر المترسط الأوربية وليست اليابسة، كها أن البحر هو الذي يربط بين بلدان القارة الأمير يكية، أي وليست اليابسة، كها أن البحر هو الذي يربط بين بلدان القارة الأمير يكية، أي بين بلدان غربي القارة وشرقيها عن طريق قناة بناما.

وهكذا نرى ان العالم الغربي ليس سوى «عالم محيطي (۱۱) ، بسبب طبيعته ونشأته ووجهته وتكوينه العالمي . ولهذا ايضاً ، أن الظن بأن أي بلد من بلدان هذه الكتلة يمكن أن يعيش ويتطور في حدود أراضيه انها هونوع من التفكير القديم اللذي اثبتت الاحداث بطلانه ، حتى ولوكان ذلك يتعلق «بسياسة العزلة الأمريكية أو الأوربية .

أما الكتلة الشياوعية «فهي قارية» قبل كل شيء، وتسعى عن طريق الدياولوجيتها (السياية والاقتصادية والاجتهاعية) لكي تشبع رغباتها العالمية

^{14 ...} نسبة للمحيطات.

بالتوسع، الأمر الذي قادها بشكل حتمي إلى الطموحات البحرية مهما كانت مصطنعة.



الشكل رقمه ٢ ـ

. بلدان العالم الحر

_خط الفصل بين الكتلتين

ـ المحيطات .

والبلاد الغربية مترابطة أيضاً فيها بينها؛ وإذا كان ذلك يبدو متناقضاً للوهلة الأولى، إلا أن هذه السروابسط اكشر حرية في اطار «الغرب» منها بين البلدان الاشتراكية التي تتسم روابطها بالتبعية الكاملة حيال الدولة الزعيمة.

وهناك ميزة اساسية للعالم الحديث، سنأتي على ذكرها في الجزء الخامس (البند ٣)، ألا وهي: «الحجم الأدنى»، وهذا يعني بالضرورة توفر كمية هائلة من الوسائل المتنوعة منظمة في أجهزة ومؤسسات ضخمة بغرض تحقيق المنجزات التي

تلازم التقدم؛ وإن العجز في هذه الوسائل يؤدي حتماً إلى تراكم التخلف واتساع الفوارق بالثروة والقوة.

والواقع أن هذا «الحجم» غالباً ما يكون في الحدود القصوى للامكانيات البلدان المتوسطة بل وقد يتجاوز هذه الامكانيات على الصعيدين الاقتصادي والدفاعي. ولا يستثنى العالم الغربي من مثل هذا الوضع إلا إذا أقيم «توازن للقوى» في داخله، لكي يجنب دوله الحريصة جداً على شخصيتها المستقلة من التبعية للزعيم العملاق الولايات المتحدة الأمريكية (١٠٠).

ان الالتزامات تجاه الحلف، والطموح للمحافظة على الشخصية المستقلة أمران حيويان، ولكن مزجهما لا يمكن ان يتم بسهولة وبدون تضحيات قومية، أي بدون حلول وسط. ومن هنا تأتي كثرة الاتفاقيات والمعاهدات، والاحلاف،

10 - الواقع ان البلد الموحيد في اوربا الغربية الذي حاول جدياً التحرر من التبعية للولايات المتحدة الامريكية هو فرنسا في عهد المزعيم المراحل الجنرال ديغول، استطاعت أن تؤكد استقلالها الموطني وتميز سياستها المدفاعية والخارجية عن سياسات بقية بلدان اوربا الغربية وخاصة انكلترا. واستمرت هذه السياسة واضحة حتى نهاية رئاسة الرئيس جورج مومبيدو رغم ما لاقته من صعوبات، ويسعى الرئيس الحالي جيسكار ديستانغ جهده للتوفيق بين الاستقلال الوطني وبين سياسة الحليف الأكبر الولايات المتحدة، متجنباً المواضيع التي تثير حساسيات هذا الحليف ولكن دون التغريط بالمصالح الفرنسية الجوهرية، ويعتقد البعض أن هذا الاسلوب الجديد ينطوي على الكثير من المخاطر نظراً لاتساع النفوذ الأمريكي في جميع بلدان السوق الاوربية المشتركة واضطرار هذه البلدان لمالأة امريكا، هذا بالاضافة إلى حاجة اوربا الغربية للمظلة النووية الستراتيجية الامريكية، واخيراً الهيمنة الامريكية على النظام النقدي العالمي، عا تضيق على فرنسا الامكانيات بالمناورة لمتابعة السير في السياسة الديغولية بدون وعظمة وسمعة ديغول»

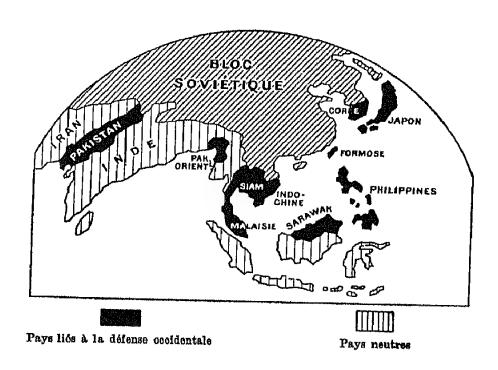
نسبياً، وتأثيرها على بقية بلدان اوربا الغربية، وعندما أصبحت احدى العوامل الثابتة في سياسة فرنسا الخارجية بعد وصول الحزب الاشتراكي الى السلطة عام ١٩٨١ بزعامة الرئيس فرانسوا متيران

(المعرب)

والتجارب والمشاريع بين بلدان العالم الحر، عا يعتبر احدى الصفات النموذجية لعصرنا الحاضر.

وهذه الالتزامات والطموحات لا تقتصر على بلدان «الكتلة الغربية» بل تمتد لتشمل البلدان المتعاطفة معها وغالباً ما تكون على نوعين يتلو احدها الآخر: كالاحلاف الدفاعية، والاتحادات الاقتصادية التي تمهد الطريق نحو الاندماج السياسي الشامل.

ونلاحظ في هذا الاثناء ان هناك «صيغة جديدة» مشتركة تجمع بين هذه الأنواع كلها، فالواقع ان النشاط الفعلي لحلف ما، كان يخضع في الماضي إلى ظهور ظرف معين مسبقا، أما في هذه الأيام فإن الاحلاف تكون في نشاط دائم في كل الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ويعتبر حلف الأطلسي النموذج الكامل لهذه الأحلاف في صيغتها الجديدة. ولما كان من الصعب ايراد جميع



الاحلاف في الشرق الأقصى الشكل رقم - ٣ -

المعاهدات المتعددة التي عقدت في العقود الأخيرة من هذا القرن، (لأن الولايات المتحددة الامريكية وحدها وقعت حوالي أربعين معاهدة في جميع انحاء العالم)، لذلك سنكتفي باستعراض أهم هذه الأحلاف في العالم الحر.

ان حلف الأطلسي (NATO) ، وحلف جنوب شرقي آسيا (OTASE) المحملان بالحلف الاسترالي النيوزيلاندي _ الامريكي ، تغطي مجمل «العالم الغربي» وتحيط بالكتلة الشيوعية من جميع الجهات .

أما معاهدة البلقان (التي تضم كلاً من يوغوسلافيا واليونان، وتركيا) والحلف المركزي (الذي يضم حالياً كلاً من تركيا وايران والباكستان بعد خروج العراق منه)، فيدعهان سلسلة الاحلاف، الغربية السابقة ويهدفان إلى ضهان أعلى نسبة من التنسيق والانسجام بين الدول الأعضاء. (انظر الشكل رقم ٢ -).

وان مبدأ مونرو(۱۷) اللذي أوحى باتضاقيات ديودوجانير و(۱۸) وهذه بدورها جسدت التضامن بين جميع بلدان القارة الامريكية باستثناء كندا.

أما اوربا الغربية فتسير نحو الوحدة بموجب سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية منذ قيام مجموعة دول البنيلوكس ""، ومروراً باتفاقية المجموعة الاقتصادية الاوربية (.C.E.E) ""، واتفاقية السوق المشتركة؛ ويدفعها في هذا الاتجاه ضرورة تجنب التفرقة المؤذية، والحوف من النفوذ الامريكي القوي، والتهديد السوفياتي المقلق، والحدف البعيد لهذه المجموعة هو اقامة «كتلة توازن» والتهديد السوفياتي المقلق، والحدف البعيد لهذه المجموعة هو اقامة «كتلة توازن» والخيرة قيام تقف بين العملاقين، وأخيراً فان القارة الافريقية تشهد في السنوات الاخيرة قيام

١٦ - حلف البلقان.

١٧ ـ ميدأ موترو

۱۸ ـ اتفاقیات ریو دوجانیرو:

١٩ - مجموعة دول البنيلوكس:

C.E.E. _ Y .

مجموعات مختلفة الأنواع والأغراض كها سبق اشرنا اثناء الحديث عن العالم الثالث.

ويجدر بنا الاشارة على سبيل الذكرى. بان الاتفاقيات الثنائية المتعددة (اقتصادية وفنية وثقافية وعسكرية الخ. .) التي اقتضتها بعض الحاجات الاقليمية والتي تستند إلى سياسات قومية معينة ، لا يمكن ان يكون لها تلك الأهمية التي للأحلاف، لأنها لم تنشأ بوحي من الضرورات الجغرافية السياسية ، ولذلك فهي معرضة للزوال السريع .

ومن المخاطرة بمكان الاسراع باستخلاص نتائج نهائية من هذا البحث الموجز الذي لا يمكن اعتباره بحثاً كاملاً بالاضافة إلى أن معطياته قابلة للتغيير . غير أن ذلك لا يمنعنا من الاشارة إلى بعض العوامل الدائمة والاتجاهات البارزة التي امكن الوصول إليها خلال البحث وهذه العوامل هي :

- الموقع الجغرافي: ان الموقع الجغرافي لدولة ما يحدد إلى درجة بعيدة دورها الدولي وعلاقاتها بالدول الأخرى.

- توزيع اليابسة والبحار، والتعارض الطبيعي بين القوى البحرية والقوى القارية تحتفظ بقوتها كوقائع جغرافية ثابتة.

- المواصلات والنقل: هما عنصران اساسيان في حياة العالم الحديث، وقد تتعرضان للزوال بدون المبادلات المتعددة بين البلدان، علماً بأن هذه المبادلات اصبحت حيوية بالنسبة لجميع الشعوب ولا يمكن الاستغناء عنها.

- الانسان: هو العنصر المسيطر والحاسم وذلك بفضل ملكاته العقلية والعاطفية ولأن سلطت على الأشياء تزيد باستمرار دوره الحاسم، إذ هي تساعده على تكييف أو تعديل الامكانيات الطبيعية في اطار مجاله الأرضى.

غير ان الانسان يبقى عرضة للتأثر بالايديولوجيات، والأفكار والعادات والتقاليد والمعتقدات التي اورثتها له الحضارات والاعراق، كما ان قدراته ليست متساوية عند جميم الشعوب: وإن المبادلات المتنوعة والاتصالات كفيلة بتخفيف

هذه الفروق إلى حد بعيد. كما ان اتساع السلطات والوسائل التي في حوزة الانسان تُدعّم من الوقائع الجغرافية _ السياسية .

- المجموعات الأقليمية: ان غالبية هذه المجموعات على مختلف اشكالها واغراضها، إذا لم نقل كلها - تتشكل عادة من بلدان ليس لها «الحجم الادنى» الضروري لضهان الإزدهار والدفاع عن النفس باستقلال كامل ؛ وان تاريخاً مشتركاً وصحياً، يحاك بين بلدان هذه المجموعات، تدريجياً ترضه المبادلات والروابط والعادات الناشئة.

ـ التنظيم الاقتصادي، والتنظيم الـدفاعي: يميلان هذان التنظيمان إلى تجاوز الاطار القومي باتجاه الاطر الاقليمية والدولية، على الرغم من الانتفاضات الفجائية التي لا يمكن تفاديها.

التقدم: يتجه إلى خلق اسلوب للحياة متشابه في كل الامكنة من الكرة الأرضية، واعطاء هذه الحياة صفتين أساسيتين: وحدة المعايير، وخلق حاجات معينة بفرض تنمية القدرة على استهلاك الانتاج الغزير.

غير ان هناك اختلافات لابد وإن تقوم في البلدان التي تحاول توجه التقدم باتجاه معين.

- الخط البياني للحواجز السياسية في العالم: طرأ على هذا الخط الكثير من التغييرات منذ بداية القرن الحالي. ومع ذلك فإن هذه الظاهرة السطحية قد تكون خادعة أحياناً لأنها لاتتطابق دائماً مع الحقيقة الجغرافية السياسية. وأن الخريطة التي تمثل هذه الحواجز (أو التقسيات الدولية الجديدة) مزيفة إلى حد ما. ولا بدلما لكي تنطبق على الواقع من أن تبرز الكتل الكبرى التي غالباً ما تكون مختلفة عن خط الحدود الرسمية القائمة. والتحول الحقيقي للعالم على محيط وتكوين هذه الكتل، كما يؤثر على شبكة العلاقات التي تقوم في داخلها أو تربط فيها بينها.

ومن بين فضائل الدراسة السريعة للجغرافيا السياسية اظهار هذا الواقع الهام بالنسبة للمستقبل.

٢ _ القوى الجاذبة والقوى النابذة ومناطق العظمة ومراكز القوة(٢١)

تــداخــل هاتان القوتان على محمل الساحات التي تشكل تقسيم وتصنيف البلدان فوق سطح الكرة الأرضية.

فالصلات الروحية المتنوعة تشكل «قوى جذب» بين البلدان التي تتقاسم نفس المفاهيم المعنوية والثقافية كالدين المشترك واللغة، والبرامج التعليمية الموحدة، في المدارس والجامعات، والارث التاريخي، الخ. . والشعوب اللاتينية فيها بينها، والشعوب الانكلولساكسونية، والمستعمرات القديمة بالنسبة للدول التي كانت تستعمرها، ليست الأمثلة الوحيدة على ذلك.

كما أن الأهداف السياسية الواحدة، والأداب المتشابهة التي ترجع للمناخ المواحد، تشكل عناصر جذب هامة، وأخيراً فإن ردود الفعل ضد ايديولوجية معادية ما، يمكن أن تقرب بين الشعوب المختلفة جداً، كما هي الحال مثلاً بين تركيا والنرويج في اطار حلف الأطلسي (NATO).

والعلاقات الدولية والمبادلات المتنوعة تعتبر من العوامل الهامة في تطوير هذه القوى، وغالباً ما تكشف عن مواضيع أكثر بما تكشف عن مبر رات للخلاف، وهذه الأخيرة ترجع في الغالب إلى الأحكام وكراء المسبقة أو السطحية التي كرسها الجهل المتبادل.

وتعود «القوى الجاذبة» لأسباب مادية من السهل تمييزها. ففي ميادين الاقتصاد والمواصلات والدفاع الوطني، يمكن للاتفاقيات المطبقة تطوير هذه القوى على الرغم من كل ما فيها من تناقضات، لأنها تنسج ببطء بين البلدان المتعاقدة تاريخاً مشتركاً، لذا يستحسن المحافظة عليها حتى ولوبدا ان محسناتها في طريق الزوال. ويمكن لحلف الأطلسي - على هذا الاساس - ان يخلق مثل هذا التاريخ كها يمكن «لاوربا المتحدة» أن تولد من العادات التي تكرسها اتفاقيتا الأسرة الاقتصادية والسوق الأوربية المشتركة.

[,] et les centres de fonces e Les Zones de prumauries _ Y \

وفي الماضي لم تستطع «القوى النابذة» ان تثبت فعاليتها إلا في حالات البلدان المتجاورة أو القريبة من بعضها. ولكن الواقع الراهن الذي يكمن في سهولة واتساع سبل المواصلات، يساعد على اقامة علاقات فعلية مع جميع انحاء العالم. هذا العالم الذي تغير وجهه الجغرافي ــ السياسي إلى حد بعيد.

ويمكن لنفس هذه القوى أن تنشىء «عناصر نابذة» عندما تتعارض المفاهيم بين بلد وآخر. غير ان هناك أسباباً أخرى للتنافر منها: ذكريات الماضي التي تنطوي على الاحقاد وعدم الثقة والرغبة بالثار والمصلحة في تأجيج هذه المشاعر أو اصطناعها كلياً.

ونحن نعلم أن القوميات الفتية غالباً ما تلجؤ لهذه السبل وفي مثل هذه الحالات يقدم التكنيك الحديث امكانيات هائلة للتأثير على الرأي العام مهما معدت المسافات.

وأخيراً يمكن للاعراق والديانات ان تكون ايضاً مبر رات فعالة للتنابذ. ومن الملاحظ ان بعض المناطق لا تزال مسرحاً لمشل هذه الصراعات (العرقية والدينية) ونخص منها بالذكر البلدان الأسيوية، والبلدان الاسلامية (٢٠٠٠).

ومن الواضيح أن بعض «المناطق المتميزة» تلعب ادواراً من الدرجة الأولى في التوازن الاقتصادي والسياسي العالمين: فالعالم جون ماكندور كان يرى ان منطقة العظمة (۱۲) هي في «الجوزيرة الكونية World's land» وقد تبنى الخبراء الاميركيون هذه المقولة وطبقوها على بلدهم، كما فعل الألمان من قبلهم. ويميز الاستاذ (G.T. Renner). ج.ت. رينر من جامعة كولومبيا في امريكا، يميز من ثلاث

٧٧ ـ يتجاهل المؤلف متعمداً على الأغلب ـ الصراعات التي تجري في ايرلندا بين البوتستانت والكاثوليك، والصراع العرقي الذي يستند إلى التفرقة العنصرية، والذي تشنه الدول العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ضد الأكثرية السوداء من سكان البلاد، وكذلك الفلسفة العنصرية والدينية التي تقوم عليها السياسة التوسعية الصهيونية.

مناطق للعظمة وهي:

- اوربا بمجموعها، وامريكا الشهالية الشرقية ومنطقة جنوب شرقي آسيا. وقد حُددت «مناطق القوة»(٢٠) على نطاق أضيق رغم انها تتبوأ فعلياً مكانة من الدرجة الأولى، والأمثلة البارزة على هذه المناطق هي:

.. المجموعة الصناعية التي تغطي اجزاء من فرنسا وبلجيكا والكوكسمبورغ وحريض الروهر في المانيا.

ـ والمنطقة الصناعية الواقعة شهال شرقي الولايات المتحدة الامريكية.

ان مراكز القوة هذه قابلة للتغيير مع الزمن، فبعضها يضمر والبعض الآخر يختفي تماماً، بينها تظهر مراكز اخرى جديدة. والحقيقة ان عناصرها المكونة تتبدل أيضاً، ومن الأدلة الواضحة على ذلك أن مناطق انتاج الزيت كانت لفترة طويلة من العوامل الحاسمة ولكن اكتشاف البتر ول أبطل الكثير من المعايير السابقة وادخل تعديلات جوهرية على الجغرافيا ـ السياسية، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تغير الطاقة النووية (أو أية طاقة أخرى) هذه المفاهيم.

ومن الجدير بالدكر أيضاً أن تطور وسائل النقل ساعدت على التمركز الصناعي في أماكن كانت تبدو في الماضي القريب من المستحيلات(٢٠٠).

وانحيراً فإن انطلاق «البلدان النامية» على طريق التطور والتصنيع اخذ يرسم مراكز للقوة في منتهى الجدة.

والتقسيم السياسي للعالم لا علاقة له اجمالاً بهذه القوى، وهوفي كثير من الأقاليم سابق لزمن اكتشافها، وإن المبررات المعنوية التي بني عليها تتفوق غالباً على النواحي المادية المرتبط بمراكز القوة حتى ولو كانت تؤمن للسكان حياة أفضل.

لهذا لا بد من الاعتراف أن الخيارات المعنوية لا تتطابق بسهولة مع الحتمية الجغرافية _ السياسية .

Les Centres de Fonces مراكز القوة - ٢٤

و٧ _ من الأمثلة البارزة على هذه المناطق الاسكا في امريكا، وسيبريا في الاتحاد السوفياتي.

الجزء الثاني

الجغرافيا ـ الستراتيجية LA GEOSTRATEGIQUE

ان المسادىء الأساسية للستراتيجية بسيطة، والحلول الممكنة فيها ليست متعددة اطلاقاً ولا هي معقدة. غير ان الخيار الواجب اتخاذه بينها، وكذلك التنفيذ يتطلبان من القائد (او رجل الستراتيجية) كفاءة عالية وصفات استثنائية، لأن والقادة الكبار، في التاريخ وحالة نادرة».

ولن نحاول هنا أن نعالج سوى احد المميزات الرئيسية التي تقوم عليها «كفاءة القائد العسكري» وهي :

دراسة العلاقات بين المشاكل الستراتيجية من جهة ومن عوامل الجغرافيا ـ السياسية، وهذه العوامل لم تعد اطلاقاً مقتصرة على المميزات الطبيعية للأقاليم، كما كانت في الماضي، بل هي اليوم جميع العوامل التي تلعب او يمكن ان تلعب، دوراً في الجغرافيا السياسية، وآثارها هنا (أي في الستراتيجية) وهناك متشابهة. وقد اصبح من اولى واجبات القادة السياسيين والعسكريين أن يحسبا حسابها في خططهما الخياسة، لأنها توفر لهم قواعد مشتركة، تستوجب المطابقة المسبقة والتعاون الوثيق في أيام السلم وفي زمن الحرب.

ولهذه الأسباب تعتبر «الاستراتيجية» من اختصاص كبار المسئولين من سياسيين وعسكريين في أعلى المستويات الحكومية.

و دالجغرافيا - الستراتيجية هي الشقيقة الثانية للجغرافيا - السياسية ، وتشكل معها ، «لوحة مزدوجة ومنسجمة» تزود القائد السياسي والقائد العسكري بأسلوب موحد للاقتراب من المشاكل المترابطة بالضرورة في العالم الراهن ، وهي تحظى «بشرعيتها» تدريجياً لأنها تعالج مجموعة العلاقات الأساسية في الحياة الحديثة للدول .

الفصل الرابع

تطور الستراتيجية

الخمول اللهن المذي يعتبر الستراتيجية مكانه المفسل₃
 الاميرال كاستيكس

١ _ الآراء الكلاسيكية

ان تخطيط وادارة وتنفيذ والعمليات العسكرية: يتم على صعيدين يجب التمييز بينها:

فالأول هو «المستوى المستراتيجي» حيث يجري فيه «التصور العام للعمليات» والتنبؤ بمجموعة التحركات والادارة البعيدة للقوات المشتبكة في المعركة. والقائد (الستراتيجي) يستوحي افكاره من «المذاهب العسكرية» ليضع على اساسها الخطط الشاملة على المدى القريب والبعيد.

والثاني هو «المستوى التكتيكي» (التعبوي) وغايته الوصول إلى أقصى حد مكن من «فعالية المناورة والأسلحة» اثناء القتال على الأرض، والقائد العسكري التكتيكي، يستند إلى قواعد محددة ويطبقها مباشرة بها يتلاءم وشروط المعركة وتطوراتها.

وهكذا يتضح أن «الستراتيجية» و «التكتيك» تحتلان مستويات مختلفة ، أما في الميدان الجغرافي الذي نحن بصدده فإنها تبحثان الأشياء من زوايا مختلفة تماماً: «فالتكتيك» يجب ان يتكيف حسب الخصائص المحلية الآنية ، وخاصة الطبيعية منها.

اما «الستراتيجية» مهمتها على العكس تماماً معالجة مشاكل اكثر اتساعاً، وأقل محدودية في الزمن وعليها أن تدرك بعمق العوامل التي تقوم عليها الجغرافيا السياسية، وأن تستغلها بنفس الروح.

ولن يعود ثانية إلى التكتيك، لأن هذه المقارنة السريعة تسمح لنا بعد الآن بالاحاطة بميدان الستراتيجية.

والحقيقة يمكن التصور مباشرة بأن «الحد الأعلى» للستراتيجية هو «السياسة» التي تغطي جميع فعاليات ونشاطات وتنظيمات بلدما، وأن «الحد الادنى» للستراتيجية هو «التكتيك» الذي يعتبر عملاً عسكرياً صرفاً من اختصاص القيادات العسكرية.

ويمكن ان نفهم من هذا ايضا إلى أي حديمكن ان تختلف، «مضاهيم القائد العسكري الستراتيجي» التي توازي «مفاهيم رجل الدولة السياسي» وتتفق معها، عن مضاهيم «القائد العسكري التكتيكي» التي لا تتجاوز كونها مفاهيم فنية من مستوى رفيع همه قبل كل شيء المردود العملي الملموس على ساحة المعركة.

ولقد كان من الممكن في الماضي تعريف الستراتيجية بكل بساطة ، عندما كانت الحرب فقط بين جيشين محدودي العدة والعدد دون ان تساهم بلديها عملياً بهذه الحرب. ولكن الأمر يختلف تماماً في هذه الأيام(١)، حيث اصبحت والقوى

١ - لا تزال الحروب المحلية والاقليمية التي تنشب بين البلدان النسامية، تغلب عليها الطابع المقديم رخم كل ما تحشده من امكانية بشرية ومادية، نظراً لقصرها من التاحية الزمنية، ولرخبة الأطراف المتحاربة في عدم زج جميع امكانيات البلاذ في الحرب الامر الذي قد يخرجها من الاطار المرسوم لها ويفتيح المجال المواسيع لتطورها وامتدادها إلى مستويات اقليمية ودولية يصعب المتحكم فيها في المظروف الدولية الراهنة. ويمكن ايراد حروب الشرق الأوسط، والنزاعات

المتصارعة التقتصر على القوات المسلحة فحسب، بل تشمل البلاد بكاملها ، فتكرس جميع النشاطات والفعاليات (المادية والبشرية) للمجهود الحربي ، منذ الفترة التي يبدؤ فيها الاعداد للحرب، وتكون كلها بنفس الوقت معرضة لضربات العدو. ولم تعد الستراتيجية عملًا عسكرياً من وجهة النظر التي تهمنا في هذا البحث، بل يجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار جميع «العوامل المتغيرة» للجغرافيا ... السياسية ، طبقاً للظروف المتعاقبة المحتملة الظهور.

وعلينا إذن ألا نقتصر في بحثنا على الجغرافيا بل يجب ان نعالج «الجغرافيا ـ السياسية الملاثمة لعصر الفضاء». ولهذا السبب بالذات، ويهذه العقلية يعمد الانكلو ـ ساكسون إلى جمع البحوث الجغرافية وعناصر الستراتيجية في كتاب واحد (والمثال على ذلك هو كتاب «جغرافيا العالم السياسية World Political» واحد (والمثال على ذلك هو كتاب وجغرافيا العالم السياسية Geographie من تأليف ايترل ETZEL وفيفيلو Fifield في امريكا او الجغرافيا العسكرية الامبراطورية.

imperial military Geographie من تأليف كول Kool في بريطانيا).

والمبادىء العامة للستراتيجية قليلة العدد وقد أجملها المارشال فوش (١) في ثلاثيته المشهورة:

«الاقتصاد بالقوة، ووحدة وحرية العمل» وهي تهدف على الصعيد العسكري للبحث عن تدمير قوات العدو المسلحة بأساليب متنوعة لكل منها أنصاره المتحمسين، ولكنها كلها تخضع دائماً لقانون عام لا يعرف الاستثناءات إلا نادراً ألا وهو: «أن النصر للأقوى، وإن الحدف الأساسي للمناورة الستراتيجية هو

التي جرت على الحسدود بين البساكستان والمند، وبين العسين والهند، وكنذلك الحروب والاشتباكسات التي تجري على ارض القسارة الأفريقية، وفي جميع هذه الحروب يلاحظ أن الحياة العسادية في داخسل البلدان المتحاربة تكاد تستمر على حالها دون أي تغيير ولا يشعر الناس بوطأة الحرب إلا عن طريق وسائل الاحلام.

٧ _ المارشال فوسن هو القائد العام الفرنسي لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

في النهاية خلق الشروط التي تجعلنا في وضع الأقوى، في الزمان والمكان المطلوبين». وان عبقرية نابليون بونابرت العسكرية كانت اساساً في نجاح مناوراته الستراتيجية بشكل نظامي مدهش».

والستراتيجية العامة ترمي إلى دراسة ومعالجة «مجمل الحرب» او الصراع بغرض توجيه كل القوى والوسائل المساهمة فيها، وهي تمارس فوق «مسارح العمليات»؛ وكل «مسرح» منها يتطابق مع «منطقة جغرافية» معينة، ويوحي بمفهوم ستراتيجي خاص به يكمل السترتيجية العامة.

والصفات الجغرافية لمسرح عمليات مالاتحدد الحلول الستراتيجية المكنة فحسب، بل تحدد نوع القوى المطلوبة والمناسبة للعمل فيه. لذا فمن الضوري ان يراعى في تنظيم وتسليح وتجهيز القوات المحاربة شروط وطبيعة مسرح العمليات الذي ستعمل فيه.

وأخيراً، هناك عنصر وحيد يعطي لكل مسرح عمليات صفته المميزة، فالأرض والبحر لكل منها استراتيجيته الخاصة (برية، وبحرية)؛ غير أنه من الممكن أن تكون المبادىء العامة واحدة في كل هذه المسارح مع اختلاف الوسائل والشروط الخاصة بكل منها، وغالباً ما تختلف المذاهب العسكرية حول هذه المبادىء تبعاً للنتائج السيئة التي ترتبت عليها.

وقد ادخل «غزو الفضاء» عنصراً ثالثاً على الستراتيجية، فأصبح للقوى الجسوية ستراتيجيتها منذ ان وثق هذا السلاح بنفسه وبدوره الحاسم في المعركة وأثبت ذلك عملياً.

وسوف نرى كيف ان التطور العميق للأسلحة والوسائل الدفاعية ، والتقدم التقني ، بل وتطور العمالم نفسه ، كيف ادت جميعها لالغاء جزء من الصعوبات والمعوقات ولاعطاء العوامل الجغرافية دوراً جديداً في الستراتيجية .

٢ ـ الشروط الجديدة

ان التبدلات التي غيرت وجه العالم تعطى للصراعات المسلحة صفات

جديدة متعددة وشديدة التعقيد، ليس من السهل نخيلها مسبقا. كما لم يعد للمحرب صفة واحدة اطلاقاً وانها عدة صفات تتجمع لتميز الحرب الحديثة بأشكالها المتغيرة، وتكون عوامل جديدة ودائمة للستر اتيجية. وسنذكر فيها يلي هذه العوامل محاولين تلخيص تأثيرها على الستر اتيجة:

آ ـ الأسلحة: وأول ما يسترعي الاهتهام هو تلك النيبادة الهائلة في قوة الاسلحة الكلاسيكية، وظهور أسلحة جديدة وخاصة منها السلاح النووي ذو القوة التدميرية الخيبالية. وهذه الزيادة بالقوة رافقتها زيادة بالمدى أي امكانية ضرب قطاعات واسعة جداً: وحلت الطائرة احيباناً على المدفع، واستخدم الصاروخ بدلاً من الطائرة، ومع ذلك لم يلغ أي من هذه الأسلحة السلاح الأخر لأن ضرورات المعركة تتطلب احياناً توجه القذائف إلى اهداف قريبة جداً، وأحياناً اخرى توجيهها إلى اهداف بعيدة.

والواقع أن اهم ما يمتازبه السلاح الحديث هو أنه أصبح يتكون من «جموعة متكاملة»، فتحول من «سلاح بسيط» إلى «سلاح مركب» متنوع جداً حسب تنوع واختلاف طبيعة الأهداف (الوحدات البرية، الطائرات، السفن، الغواصات الخ. .)؛ وهذه المجموعة هي: «السلاح - جهاز التسديد - القذيفة - جهاز التوجيه».

ان هذا التطور الكبير لم يغير المبادىء الستراتيجة ، التي توصي دائياً بضرورة العمل على خلق الوضع الملائم الذي يجعل العدوفي موقف الضعيف ويعطي الفرصة لقواتنا لضربه من موقع القوة ؛ ولكنه تطور الاسلحة ادى إلى تطور في أساليب القتال أي انه ادى إلى تغيير في التكتيك.

ب الواقع النووي: يهيمن الواقع النووي على الستراتيجية في الوقت الحاضر، ولكن ذلك لا يخلومن التناقض في أغلب الأحيان. فقد اصبح معلوماً من الجميع أن الحرب النووية الشاملة ستؤدي إلى كارثة عالمية مروعة، لا يستطيع احد تصور نتائجها الكاملة. ولما كانت اطراف النزاع الكبرى تملك قوى نووية متعادلة، فإننا لا نعتقد بأن أية دولة منها يمكن أن تتحمل مسؤولية تفجير الحرب

النووية الشاملة. ولهذا نلاحظ أن العالم وصل إلى مرحلة «التوازن النووي القائم على الردع» أي على التهديد بالرد النووي الكافي لكي لا يكون أي هجوم نووي مفاجىء عملية رابحة.

غير أن هذا «التوازن النووي» لا يلغي الحروب، وانها يحولها إلى «نزاعات اقليمية» لا تستخدم فيها الأسلحة النووية بالتواطؤ الضمني بين القوى العطمى. ولا يستبعد أن يأتي اليوم الذي ستستخدم فيه الأسلحة النووية على نطاق ضيق (أي استخدام الأسلحة النووية النطيفة أو التكتيكية مثلاً).

ومع ذلك فإن الخطر الرهيب لا يزال يخيم فوق رؤ وس البشرية بسبب الخوف من نشوب الحرب النووية عن طريق الانزلاق التدريجي أو الخطأ.

ويعتبر هذا الخطر نوعاً من التهديد وأسلوباً من اساليب الابتزاز، يثقل كاهل العلاقات الدولية ولا يمكن للمخططات الستراتيجية أن تتجاهله مهما كان نوع الحرب التي تعالجها.

هذا وإن استغلال «الطاقة النووية» كوقود للمحركات، بدأ يلعب دوراً رئيسياً في الستر اتيجية، فهو يعطي للسفن «مدى عمل» يكاد يكون قريباً من

٣ ـ لقد وصلت الأوضاع في حرب كوريا، وحرب فيتنام إلى الحد الذي كاد يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام الاسلحة النووية، فقد أدى ذلك إلى هزل الجنرال ماك آرثر من قيادته خوفاً من ردود الفعل السوفياتي التي قد تفجر الحرب النووية وتقول بعض المصادر التي لم تتأكد بعد، أن «اسرائيل» كادت تستخدم السلاح النووي بعد الزلزال الذي حل بقواتها المسلحة في الأيام الأولى من «حرب تشرين» والتي اوصلتها إلى حافة الهزيمة المؤكدة لولم تنقلها المولايات المتحدة الأميريكية عن طريق «الجسر الجوي» الذي قلب معادلة الحرب لصالح اسرائيل، وحال دون استخدام «القنبلة النووية الاسرائيل» كها يؤكد بعض الخبراء أن الانذار السوفياتي اللذي ولجهه بولفانين إلى انكلترا وفرنسا اثناء حرب السويس عام ٢٥٩١ كان جدياً وتضوح منه رائحة الاسلحة النووية، وان هذا الانذار مضافاً إليه موقف الولايات المتحدة الميريكية الأخير من العدوان أجبرا الاطراف الثلاثة الممتدية إلى الانسحاب.

اللانهاية، ويجعلها أكثر استقلالية ويسمح للغواصات بشكل خاص بالبقاء اطول مدة ممكنة تحت الماء، أي أنها تبقى مختفية لمدة طويلة وهذا يزيد من صعوبة كشفها ويمكنها من القيام بالهجوم المفاجىء انطلاقاً من أية نقطة في البحار.

جـ الوسائل المادية: تمتلك الجيوش الحديثة وسائل متنوعة أقوى من سابقاتها بها لا يقدر، فالطيران والأليات والصواريخ واجهزة الاتصال وأجهزة الرصد والكشف البعيد الالكترونية (الرادار، واجهزة رصد الغواصات الخ. .). واجهزة التوجيه عن بعد. . ، وهذه المنجزات المتطورة جداً أحدثت انقلاباً في طريقة استخدام القوات المسلحة وضاعفت من امكانياتها . فقد ازدادت حركة القوات عشرات المرات من حيث السرعة والمسافة ؛ وأصبحت الحواجز الطبيعية التي كان من المستحيل اجتيازها في الماضي (كالجبال وبحاري المياه . .) قابلة للاختراق أو الالتفاف حولها بسهولة ؛ ولم يعد الطقس يمثل نفس الشروط الصعبة التي كانت له سابقاً ، وهكذا أصبح بمقدور الوحدات العسكرية مباشرة القتال في أي مكان وتحت أي ظروف مناخية . غير ان هذه الميزات الجديدة لا تخلومن أي مكان وتحت أي ظروف مناخية . غير ان هذه الميزات الجديدة لا تخلومن الها على جانب كبير من الحساسية والتعقيد مما يشكل بحد ذاته اعباء كبيرة لا بد المستراتيجية أن تأخذها بعين الاعتبار.

ولما كان باستطاعة الطائرات والصواريخ بلوغ أي هدف فوق سطح الكرة الأرضية فإن الحرب اصبحت تشمل كل مكان ولم تعد محصورة في منطقة القتال؛ كما لم يعد هناك «مؤخرات» فكل السكان وجميع المنشآت والثروات اصبحت مهددة. يضاف إلى ذلك أن القتال يجري الآن في الفضاء وفوق البحاروتحت الماء، ولهذا أصبح على الستراتيجية استغلال أنواع جديدة من الجغرافيا، ألا وهي: «الجغرافيا ـ الفضائية، وجغرافية اعماق البحار، وهما مادتان جديدتان تزداد اهميتهما يوماً بعد يوم.

إن المواصلات الالكترونية المتعددة تضمن ايصال المعلومات باقصى السرعة والكهال، وهذه الامكانيات مضافة إلى مرونة حركة القوات يمكن ان

تؤدي دفعة واحدة إلى «مركزية القيادة في الانساق الستراتيجية» وتجعلها «اكثر استقسلالية على الصعيد التكتيكي»، هذا بالاضافة إلى أن الكشف الالكتر ومغناطيسي في الجو (الرادار) وتحت البحار (السونار وغيره) يساهم مساهمة فعالة في هذا الاتجاه.

وسوف نرى والحالة هذه أنه لم يعد من المكن تلبية حاجات الستراتيجية من هذه الوسائل إلا إذا استثمرت بعض عوامل الجغرافيا ـ السياسية .

د الامتداد السياسي والطبيعي: ان ارتباط الدول ببعضها البعض هو واقع جغرافي ـ سياسي حديث، يزيد بسرعة مضاعفات نزاع ما، حتى ولوبقيت العمليات العسكرية البحتة محصورة. إذ سرعان ما تدخل إلى الميدان المصالح المتعددة تدعمها الابديولوجيات ـ فتضع كلا من الخصمين المتنازعين تحت راية معينة، دون أن تتعرض لاتساع العمليات العسكرية في البداية ولكن هذه لا تلبث ايضاً أن تتطور إلى صراع اقليمي او دولي (نصف عالمي) بل وقد تؤ دي إلى حرب عالمية شاملة.

وهكذا نرى ان القرارات الستراتيجية تتأثر مباشرة بالتهديدات المستمرة وبالمساعدات المادية والمعنوية التي تقدمها القوى الأجنبية لطرفي النزاع. ولا يمكن بالتالي ان تكون هذه القرارات مستقلة عن السياسة، بل على العكس، يجب ان تكون ترجمة لها في الميدان العملي.

لقد كانت السياسة في الماضي تكتفي بقرار اعلان الحرب وتحديد اهدافها ومن ثم تترك للعكسريين قيادة الحرب على هواهم، حتى إذا انتهت الحرب عادت السياسة لاستشهار نتائجها على الصعيد الدبلوماسي. أما اليوم فعلى «السياسة» أن تقوم بادارة الحرب مهها طالت، لأن لكل «عملية ستراتيجية» مضاعفات مباشرة واسعة وعميقة من جميع المينادين السياسية والاقتصادية والاجتهاعية، وكل من هذه النتائج لا يؤثر على المعركة فحسب بل يتجاوز ذلك إلى التأثير على العوامل الجغرافية السياسية وتوازنها في صف الاصدقاء وجبهة الاعداء عما قد يكون له تأثير كبير على عالم ما بعد الحرب.

أما الحروب الاقليمية (المحدودة) المتكاثرة فلا يمكن أن تبقى محدودة إلا إذا كانت قصيرة جداً ليس في مرحلتها النشطة فحب بل وفي مرحلة اعدادها ونشوبها. وهذا الشرط ضروري بشكل خاص للحروب التي من انواع «التدخل» أو «عمليات حفظ الأمن» في ومن واجب الستراتيجية في مثل هذه الحالات البحث عن القرار السريع واطالة الصراع، إذا كان الوضع يتطلب حصر الصراع أو توسيعه. وفي حالة عدم اتخاذ القرار السريع يمكن ان نعرض نتائج العمل العسكري إلى الخطر بسبب المضاعفات السياسية واتساعها: وعملية السويس عام ٢٥٩١ من تعتبر مثالًا حياً لمثل هذه الحال بل ومن المؤسف أن هناك عمليات عام ٢٥٩١ تحرى (كذا).

هـ ـ المعنويات والايديولوجية: لقد اثارت الايديولوجيات مشاعر العديد من الشعوب وأجَّجَتُها الى أقصى الحدود. وأصبح الوضع الدولي نتيجة لذلك في منتهى الحساسية. وفي هذا الجوالعافي المتوتر غدا السلاح النفساني (السلاح

ع من الأمثلة على حروب التسدخيل، تلك الحملة الشلائية التي شنها كل من بريطانيا وفرنسا
 واسسرائيل على مصر في عام ١٩٥٦. والعمليات الاسسرائيلة التي قامت بها اسسرائيل في عام
 ١٩٧٨ في جنوب لبنان.

أمًّا عمليات حفيظ الأمن، فالمثنال النموذجي عليها هو تدخل القوات المظلية الفرنسية والبلجيكية في زائير في عام ١٩٧٨ اثر الغارة التي شنتها الدرك الكاتنجي على منطقة كولووزي الصناعية في زائير.

(المعرب)

ه ـ ان الاسف هو تعبير عن رأي المؤلف وهو بالطبع ابعد ما يكون عن الحياد، ولا يمكن ان نشاطره أسفه ذلك أنه يأس على فشل سياسة التدخل الاستعبارية بينها نقف نحن في الجهة المقابلة، التي يقتضي طبيعة وضعها تبني ستراتيجية مضادة فإذا كان والعدو المتدخل، يهدف إلى اجراء حرب سريعة خاطفة كان على الضحية ان تبحث عن كل الوسائل لمنعه من الوصول إلى هذا الهدف وذلك باطالة الحرب وحرمانه من اجراء معركة حاسمة، والبحث عن جميع الوسائل الملازمة لهذه الستراتيجية الدفاعية، ويمكن ايراد حرب الاستنزاف التي لجأت اليها سورية عام المعرب بعد ان وافقت مصر على وقف القتال. (المعرب).

السيكولوجي) سلاحاً اساسياً يشكل تهديداً رهيباً على معنويات السكان في الحروب الحديثة .

وتبوأ هذا السلاح المكان الأول والمفضل في الحروب ذات الطابع الثوري، حيث تحل حرب الأنصار وعمليات التخريب والاغتيالات محل معارك الجيوش النظامية، وقد تكون مكملة لها في بعض الأحيان، بل وقد يكون الشكل الوحيد اللهي قد يستخدم في وضع ما نظراً لفعاليته وكفايته بالنسبة للظروف القائمة. وقد ياخذ الصراع احياناً شكل التوتر الدائم المستتر، والذي لا يصحبه بالضرورة اراقة غزيرة للدماء. وهذه الحالة تعتبر مظهراً من مظاهر «الحرب الباردة».

ومشل هذه الحروب (الشورية) تتطلب مفاهيم ستراتيجية خاصة متلائمة معها، وتختلف تماماً عن الآراء الستراتيجية الكلاسيكية. ولكننا سرعان ما نكتشف ان «النقاط الحساسة» في الجغرافيا ـ السياسية تبرز في هذه الحروب بالضرورة كمعطيات أو كأهداف من الدرجة الأولى.

٣ ـ الصفات الحالية للستراتيجية

لا بد من تصور الستراتيجية في هذه الأيام على أساس المعطيات القديمة الدائمة، التي يضاف إليها بل وتختلط بها الشروط الجديدة التي أتينا على ذكرها. وهذه الشروط تؤدي إلى احداث تطوريؤثر مباشرة على مفاهيم الستراتيجية الحالية المكنة وسنحاول استخلاصها تدريجياً.

رأينا فيها سبق كيف ان التقدم العلمي والتقني يزود الأسلحة الثلاث البرية والبحرية والجوية ، بدرجات متفاوتة ، بمميزات مشتركة : كالحركة والسرعة والمرونة وسرية الاستخدام ، والاستقلال الاداري ، والجاهزية الدائمة ، والكاملة والسريعة لشبكات الاتصال السلكية واللاسلكية . كها رأينا أن القوات البرية تتجه نحو الحصول على الميزات التي كانت من الخصائص التقليدية للقوات البحرية والجوية . ومن الطبيعي إذن ان تتطور الستراتيجية العامة باتجاه بعض

الصفات النموذجية للقوى البحرية ، وهي شروط تمليها المسافات الطويلة ، والمساحات الشاسعة والسرعة وسرية الحركة ، والانتشار الطبيعي ، والحشد السريع من أجل القيام بعمليات عنيفة وقصيرة ومتجددة . كما تمليها أيضاً . . الشئون الادارية (١) المنتشرة والمتحركة .

ما الطيران فيلعب دوراً أساسياً لا سابقة له نظراً لكثرة وتنوع استخداماته في جميع العمليات ومراحل الحرب، وقد يكون هذا الاستخدام لمصلحته المباشرة أو لتقديم الدعم والتعاون مع القوى الاخرى البرية والبحرية، وادى هذا التطور إلى ان يصبح للقوى البحرية طيرانها الخاص لدرجة أنه لم يعد هناك في هذا السلاح إلا عمليات أو مجموعات بحرية - جوية.

والاسلحة الشلاث ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً. وثيقاً لكي تؤمن حياتها نفسها وتضم فعالية عملياتها التي تتكامل وتتساند فيها بينها بشكل غير مباشر في الخطوط الأمامية، وهذا يتطلب تنسيقاً مستمراً في مستوى القيادات العليا، او بشكل مباشر اثناء تنفيذ العمليا المشتركة بين مختلف الأسلحة كعمليات الانزال مثلاً.

ومن المؤكد ان بعض العمليات تجري دائماً مستقلة تماماً عن اطارقوة ما (برية او بحرية أو جوية) كعمليات القصف الستراتيجي، الذي يقوم به الطيران أو الصواريخ أو الغواصات النووية قاذفة الصواريخ، أو كعمليات حماية الاسطول البحري، ومع ذلك فإن هذه العمليات المستقلة تدخل دائماً في إطار الستراتيجية العامة للحرب.

والخلاضة واعتباداً على ما رأيناه سابقاً، فإن الستراتيجية الحديثة يجب أن تبنى على المبادىء التالية:

٦ .. La logistique ، لقد عمدنا إلى ترجمة هذه الكلمة الجديدة باصطلاح الشئون الادارية لصعوبة التعبير عنها بكلمة واحدة ولا ندري إذا كان المعجم العسكري قد وجد لها الكلمة الملاتمة .

١ _ ان ادارة الحرب في المستوى الأعلى هي من مهمة الحكومة بالتشاور مع كبار القادة العسكريين (ويمكن ان نسميهم بالستراتيجيين)

Y ... الستراتيجية العامة هي ستراتيجية الاسلحة المشتركة (برية وبحرية وجوية) وان تعقيدها وضخامة الوسائل المتوفرة حالياً، والترتيبات الضرورية المتنوعة التي لابد من اتخاذها منذ أيام السلم بها في ذلك الحرب النفسية، كل ذلك يستوجب وضع الخطط مسبقاً وبأقصى ما يمكن من الدقة بشكل يضمن عدم تبديلها بسهولة أو الاضطرار لتعديلها في اللحظات الأخيرة. ومن هنا تظهر القيمة الكبرى للأشياء والعوامل التي تبني عليها الستراتيجية ومن بينها العوامل الجغرافية السياسية المتنوعة التي تحتفظ بالمكانة التي كانت لها على الدوام.

٣ ـ الأهداف السياسية: لم تعد هذه الأهداف مقتصرة على الأهداف العسكرية فقط، بل تجاوزتها لتشمل كل ما يساعد بلد ما على الاستمرار بالنضال. وتلعب العوامل الجغرافية السياسية الدور الهام في اختيار هذه الأهداف وتصنيفها واعطائها الاسبقيات المناسبة.

٤ ـ حالة «الحرب الباردة» تقضي هذه الحالة ـ التي عاشها العالم لفترة طويلة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ـ بأن تتطور الستر اتيجية العامة باستمرار حسب الظروف الجغرافية السياسية وان تحافظ على فعاليتها دائماً في حالة الحرب الساخنة، وان تبذل كل ما يمكن من المجهود للتنبؤ بهذه الحرب. وهذا هودور «الستر اتيجية في ايام السلم» التي تمارس تأثيرها عن طريق التهديد بقوة السلاح وبالوسائل غير المباشرة.

ان ادارة العمليات نفسها تكشف عن مفاهيم ستراتيجية جزئية - خاصة بمسرح هذه العمليات ولكنها تتشابك مع الستراتيجية العامة. هذه المفاهيم قد لا تهم سوى الجيش والقيادة التي تعمل في هذا المسرح، والمثال على ذلك هى العمليات الجوية ـ البحرية التي تجري فوق مسرح عمليات بحري.

آ _ ان قيادة القوات هي من اختصاص القيادة العسكرية حصراً في المجال التكتيكي وتكون هذه القيادة «برية» أو «جوية»، أو «بحرية» حسب الوضع

القائم، كما يمكن أن تكون القوات مختلطة احياناً: جوية برية (أو منقولة جواً) وجوية بحرية أو برمائية.

٧ _ وهذه المبادىء التي اتينا على ذكرها تصلح للأحلاف كها هي صالحة في الإطار الوطني، وبذلك تأخذ التشكيلات في القوات المتحالفة اشكالاً متداخلة أو متكاملة إلى حد كبير.

٨ ـ ومهما تكن «ابعاد النزاع»، لابد للستراتيجة من ان توضع دائماً في إطار اوسع جداً يتجاوز المنطقة المعنية مباشرة بهذا النزاع، لأن مضاعفاتها تميل دائماً للإتساع ـ والواقع الراهن يستوجب النظر للأهداف في اطار «ستراتيجية كونية» (٧٠)، كان ذلك بالنسبة لادارة هذا النزاع، أم من اجل اخذ مضاعفاته ونتائجه بكل ابعادها بعين الاعتبار. والجغرافيا السياسية والجغرافيا الستراتيجية مؤهلتان لتحمل هذه المهمة بكفاءة عالية على جميع المستويات.

٧ _ الاستراتيجية الكونية هي الستراتيجية التي تشمل كل انحاء العالم.

الفصل الخامس

محاولة لدراسة الستراتيجية

«ان كون الأرض كروية يعني انها لم تكن مدروسة بها فيه الكفاية من وجهة النظر العسكرية»

• الجنرال شاسان

١ .. تداخلات الجغرافيا .. السياسية

لا يمكن أن يكون الهدف النهائي للستر اتيجية ، من وجهة النظر العسكرية وحدها ، إلا تدمير قوات العدو. وقد تأكدت صحة ذلك عندما لم تكن الحرب تجري إلا بواسطة الجيوش وتبقى صحيحة إذا كان الغرض فرض الاستسلام على على العدو بدون قيد او شرط.

ومع ذلك فإن المانيا في عام ١٩١٨، وايطاليا في عام ١٩٤٣، واليابان خاصة في عام ١٩٤٥، قبلت كلها الغاء اسلحتها واستسلمت دون قيد اوشرط قبل ان تدمر قواتها المسلحة تدميراً اكملاً. وما هذا إلا لأن في عالم اليوم شروطاً سياسية واقتصادية ضرورية جداً لمتابعة الحرب. وانه في حالة تمكن طرف ما من المحافظة عليها يصبح مضطراً للإعتراف بالهزيمة.

وان العوامل الجغرافية السياسية الهامة تحدد معظم هذه الشروط وسنأتي على ذكرها فيها بعد.

وعلى الستراتيجية اذن الا تكتفي بادارة المعركة العسكرية الصرفة بل تسعى جهدها لبلوغ اهدافها الجغرافية السياسية لدى العدو، وان تؤمن حماية هذه الأهداف لدى الأصدقاء. ولهذا تحتفظ الستراتيجية بمكان يزداد أهمية يومأ بعد يوم ويجب ان يكيف باستمرار حسب الظروف العامة الجديدة.

وهذا التطور الدائم الذي يتم تبعاً للظروف، يجب أن يجري أيضاً في المرحلة التي اطلقنا عليها اسم «استراتيجية ايام السلم»، والتي تجدد في كل لحظة ستراتيجية الحرب. وتؤثر تأثيراً فعالاً على مواقف العدو المحتمل.

وان «الانتشار» المعروف و «الجاهزية» الدائمة للقوى الجوية (القاذفات البعيدة المدى او القاذفات الستراتيجية على الأخص) مثلاً هوبلا شك موضوع يستحق التفكير الحذر، ولكنه يجب ان يكون معروفاً (من العدو) لكي يعطي ثهاره، وهذا بحد ذاته امر غريب في الزمن الحاضر. ولهذا فإن «ستراتيجية امن السلم» تكون اكثر فعالية بمقدار ما تكون أقل سرية بمفهومها العام، أما الكتهان فلا يكون إلا بأساليب وطرق التنفيذ، وقد يكون على العكس مطلقاً وشاملاً في أغلب الأحيان. وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لتدابير «الردع» في الستراتيجية الحائية، فالصواريخ النووية العابرة للقارات، تكون دائماً جاهزة للإطلاق من الحائية، فالصواريخ النووية العابرة للقارات، تكون دائماً جاهزة للإطلاق من قواعد متحركة فوق سطح الأرض أو من الغواصات تحت سطح البحر.

وتتأثر الستراتيجية بهذه العوامل المتغيرة للجغرافيا السياسية التي تعطي كها قلنا للعالم صفاته الحالية. وفي طليعة هذه العوامل «المجتمعات الدولية» التي تسبب النزاعات. وحتى في الحروب الأقليمية المحدودة، التي تبدو للوهلة الأولى أنها تجري بين دولتين، نجد ان هناك امماً اخرى حليفة أو صديقة او متعاطفة تتدخل مباشرة أو بشكل غير مباشر، بالنزاع وتفرض على الطرفين القوة والضعف المعروفين عن الاحلاف.

وترجع اهمية الايديولوجية التي تشكل الملاط لبعض التجمعات، إلى أنها

تؤدي لنشوب حرب نفسانية (بسيكولوجية) نشيطة إلى جانب العمليات الحربية وبالارتباط معها. والستراتيجية في مثل هذه الحالة ستكون مضطرة للتوفيق بين العمليات الحربية من جهة وبين «عمليات التخزين المعنوي» التي تتكفل بها الدعاية بين صفوف العدو، وبذلك تكون قد توخت هدفاً آخر غير «التدمير الكلاسيكي» لقوات العدو المسلحة. وهذا النوع من الأسافين الخطرة تنغرس بعمق اكثر في الشروخ المعنوية التي تم الاعداد لها بعناية وذكاء لكي تأتي منسجمة مع الشروط الجنفرافية الستراتيجية الطبيعية (۱). ونؤ كد على سبيل المثال لا الحصر، أنه لم يكن من السهل فصل ايطاليا عن المانيا عام ١٩٤٣ لولم تكن تفصلها بشكل طبيعي جبال الألب عايزيد في صعوبة التدخل الألماني ووجه رقابة الرايخ الثالث على ايطاليا.

ومن ناحية أخرى فإن العمليات التي توضع خططها بغرض تدمير معنيوات شعب ما تتطلب «تعييراً» شديداً، مبنياً على المعرفة الصحيحة للحالة العقلية والنفسية للسكان، لأن الخطأ في هذا المجال يؤ دي إلى ردود فعل معاكسة تماماً للأهداف المرغوبة، كما برهنت على ذلك عمليات القصف الشديد للمدن في أغلب الأحيان، بل قد تؤ دي مثل هذه الأخطاء إلى استحالة اقامة السلام في المستقبل على اسس سليمة وتعرضه إلى الخطر الدائم.

وقد يكون من المفيد العودة مرة اخرى للتذكير بأن الأهداف الرئيسية للعمليات الحربية هي هي قبل كل شيء: المنشآت الاقتصادية الهامة، والمراكز الصناعية والانتاج الحربي. وإذا وصل سوء حظ الانسانية إلى حد نشوب حرب

ا متركز الحرب النفسية على التناقضات التاريخية والعرقية والطائفية، والفوارق المتنوعة مهيا كانت ضئيلة لكي تحدث التصدع في صفوف الخصم وتقضي على تماسكه وحدته الوطنية وتمهد بذلك للهنزيمة السياسية التي تعتبر اخطر وأبعد أثراً من الهزيمة العسكرية لما يترتب عليها من مضاعفات بعد الحرب. وقد ازدادت هذه الحرب خطورة بسبب التطور الهائل لوسائل اعلام الجهاهير، والتقدم في ميدان العلوم الانسانية وخاصة منها علم النفس وعلم الاجتماع.

جرثومية (أوكيهاوية) في المستقبل، فستكون الزراعة نفسها من بين أهدافها المفضلة، ومن المناسب ايضاً ان نذكر بالأهمية الحيوية له «مراكز القوة» التي يفضل احتلالها بدلاً من تدميرها إذا كان هناك أمل بالاستفادة منها أو ضمها نهائياً فيها بعد". وقد رأينا كيف ان السياسة «تلجم» الستراتيجية احياناً للوصول إلى مثل هذه الأهداف، على الرغم مما يبدو من فائد مباشرة تترتب على التدمير.

وأخيراً فإن النقل واجهزة الاقتصاد الحساسة، وضخامة الشئون الادارية للجيوش الحديثة، يشكل عاملاً جوهرياً للستراتيجية. فقط خطوط المواصلات يؤدي إلى شل العدو في عملياته العسكرية وقطع التموين عن قواته وعزل المصادر الاقتصادية المكملة الواحدة تلو الأخرى، وإن اختيار النقطة الملائمة للهجوم لكي يحدث مثل هذا «القطع» ذو صلة مباشرة بالنقاط الحساسة التي تكشف عنها الجغرافيا السياسية: ويمكن أن يكون لها صفة طبيعية كالمضائق والبرازخ والممرات الاجبارية، أو صفة اقتصادية كالمحطات والمرافىء. الخ. .

٧ - يجب ان نعترف ان العمليات المسكرية الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن، تجري كلها في اطار ستراتيجية عامة (سياسية - عسكرية) ذكية وتشكل دائياً جزءاً من كل متهاسك ومتنافم. فاحتلال مرتفع معين أو الوقوف عند عقدة طرق، أو منبع مياه أو منجم أو بتر بترول، أو مدينة أو بقعة صالحة للزواعة، كل ذلك مبنى على دراسة عميقة وذكية لطبيعة الأرض وامكانياتها وللعواصل الجغيرافية السياسية والستراتيجية. وإن استعراضاً سريماً للمراحل التي مرت بها الحرب التي ادت إلى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، ثم حرب السويس عام ١٩٥٦، وحرب الأيام السنة عام ١٩٦٧، وحتى حرب تشرين اول ١٩٧٣ يكفي لا عطاء الدلائل الملموسة على أن القوات الاسرائيلية كانت تخوض معاركها لتحقيق اهداف معينة مدروسة ومصنفة بذكاء وتمهد لها بحرب نفسية ذكية جداً تستند إلى معرفة صحيحة لعقلية الانسان العربي وعواطفه ولمتناقضات الداخلية في كل قطر من اقطاره، وكذلك التناقضات بين هذه الأقطار، وكل ذلك في اطار عام يأخذ بعين الاعتبار الوضع العربي، متحقق منظم اهدافها إذا لم نقل كلها. (المعرب)

٢ - الدور الجديد للجغرافيا - الطبيعية

للعوامل الطبيعية الثابتة للجغرافيا السياسية اهمية بالغة جداً تستحق الدراسة بشكل خاص من ناحية ادوارها في الجغرافيا الستراتيجية.

والذه العوامل دور اساسي في الستراتيجية حتى وان لم تكن الأكثر اهمية ، فمن الفيد مشلاً أن نبين كيف تحاول الستراتيجية التوفيق بين استخدام الأسلحة والموسائل الجديدة وبين شروط العوامل الطبيعية الدائمة . ونذكر في هذا المجال الفائدة الكبرى من زيادة الفراغ في «البعد الثالث، بسبب تطور الطائرة واسلحة الغواصات ، وارتباط ذلك بالشروط الطبيعية . فاستخدام الغواصات يتوقف عمق البحار لأنها تحتاج الى عمق معين لكي تغطى بأمان كما لا يمكن استخدام الألغام البحرية إلا على اعماق محددة ومن ناحية أخرى فإن الغواصة والألغام البحرية لا يستخدمان إلا في مناطق بحرية غزيرة الملاحة ، وهذا يعني مناطق المضائق ومداخل المرافى ع .

اما القوى الجوية فتبقى رغم كل تقدمها مرتبطة بمنشآتها وقواعدها الأرضية، وتحوينها، وهذا كله يرتبط بالشروط الطبيعية أي بالموقع والتضاريس، كما تتوقف فعالياتها في الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة بشكل دائم على بنية البلاد الطبيعية ومناخها؛ وهي لا تتحرر من هذا العامل إلا في الارتفاعات العالية.

وهكذا نعشر على قيمة جديدة لمواقع الطرفين المتخاصمين وبشكل خاص اولئك الذين كانت تفصل بينهم حواجز لم يكن بالامكان تجاوزها في الماضي واصبحت لا وجود لها بسبب الطيران.

ويمكن القول على هذا الأساس أن الولايات المتحدة الاميريكية والاتحاد السوفياتي اصبحا اليوم .. بفضل قواتهما الجوية .. يقفان وجها لوجه على الرغم من وجود القطب المتجمد الشمالي الذي كان يشكل في الماضي حاجزاً يستحيل تخطمه.

وهـذا التـوسـع في ميـدان «البعـد الشالث» (اوغزو الفضاء) يصبح رئيسياً ١٠٣ عندما يُنظر اليه من منطقة قليلة الاتساع، ومع ذلك فإنه لا يبدل اطلاقاً من الطابع العام لجغرافية العالم الستراتيجية.

والواقع أن الطبقة الهوائية القابلة للاستخدام لا تشكل إلا قشرة رقيقة فوق سطح الأرض، وباستثناء الطيران الذي يعمل على الارتفاعات العالية جداً، فإن المناطق تحتفظ بمميزاتها بالنسبة للعمليات الجوية ـ بحرية، والجوية ارضية، لأن الطيران يعاني من التضاريس والمناخ تماماً كما يعاني المقاتل العادي على الأرض وهو يعمل فوق البحاركما يعمل البحار في المراكب الشديدة السرعة. ولكن الاساليب والتكتيك تختلف من سلاح لأخر، عند تكييفها للآلة.

وتمتاز الوسائل الحديثة بمكننة العتاد خاصة، مما يضاعف امكانيات الأسلحة ليس في القتال فحسب، بل وفي جميع الأعمال اللازمة لحملة عسكرية ما: فالطرق والخطوط الحديدية الخ، يمكن اصلاحها بسرعة كما يمكن الالتفاف بسهولة حول الحواجز الطبيعية او اجتيازها او سترها.

ولكن العوامل الطبيعية يجب حسابها دائماً، لأن المشاكل الناتجة عنها لا تزال تطرح على الأطراف المتنازعة كما ان التسهيلات التي توفرها تحتفظ بمحسناتها.

وفيها عدا ذلك فإن الوسائل تتطلب تنظيها دقيقاً يؤمن الاعباء التقنية المتعددة، والتموين والتكديس بكل أنواعه، ويمكن القول ان «الشئون الادارية» للجيوش تتأثر مباشرة بالعوامل الطبيعية مثل سهولة اقامة المستودعات والنقل والدفاع، الخ. ويسري هذا المبدأ على الجيوش الحديثة جداً. فالتضاريس الكثيرة التعاريج مثلاً تجعل الأسلحة النووية أقل فعالية مما هي عليه في السهول الواسعة ؛ ويلعب المناخ دوراً جديداً لأن الهواء يسوق الغيوم والغبار الذري المشع، كما يمكن ان يحمل الجراثيم والمواد الكيهاوية الضارة. ولهذا لا بد من التفكير باهمية المواقع المعروفة بتياراتها الهوائية المنتظمة وضبابها والمناطق المشهورة بالعواصف غربي المحيط الأطلسي.

ان الدفاع ضد الطيران الذي تزايد سرعة يجب أن يستنفر في الوقت اللازم، وهذا يتطلب شبكة للرصد البعيد جداً (أي شبكة رادار). وهذه المسافات

تتوقف على ارتفاع جهاز الرصد واماكن تمركزه باتجاه العدو. وفي هذا المجال تلعب التضاريس دورها. ويزداد هذا الدور أهمية على الخطوط الأمامية: مثال ذلك ان الرصيد من الأراضي السكندنافية يغطي الجزر البريطانية ضد الهجوم الجدوي القادم من الشرق، وعلى العكس فإن حياد يوغوسلافيا يجعل الأراضي الايطالية مكشوفة، بينها تشكل اإراضي الايطالية غطاءاً فعالاً للجزء الغربي من البحر المتوسط غالباً ما يحاط بالكتهان.

ومن هنا ايضاً نلاحظ احدى النتائج المترتبة على حياد بعض الدول المحيطة والميزات التي تتمتع بها مواقع «الجزر» بشكل خاص. فها هي انعكاسات هذه السوقائع على الستراتيجية أو بمعنى آخر ما هي النتائج التي يمكن ان تستخلصها الستراتيجية منها؟

الحقيقة أنه لم يعد هناك مبر رللهجوم على «جبهة» أو على «منطقة قتال» غير محدودة، ما دام الطرفان المتحاربان يملكان التنوع بالاسلحة والوسائل ما يساعد على توجيه الضربة إلى أية نقطة من أراضي الطرفين، هذا بالإضافة إلى أن قوة الأسلحة الحديثة تستوجب «الانتشار» باعتباره التشكيلة الفعالة الوحيدة للقوات. وهذا لا يعني انتشار القوات المسلحة فقط وانها انتشار وسائل تموينها وانتشار الصناعة والسكان في الحدود المكنة.

وان الهدف الستراتيجي الملائم للقنبلة النووية سيكون أغلب الأحيان بعيداً ويشتمل على الموانيء والمطارات والمجموعات الصناعية والمدن الخ.

وما لا شك فيه ان صدمة القوات البرية الرئيسية ستزيد من شدة المعركة في منطقة محددة، إلا أن الانتشار والحركة سيكون لهما دورهما وذلك بموج الاعمال وتسهيل الاستفادة من الأرض إلى أقصى حد.

أما في ميدان القتال، فلن يكون على الستراتيجية أن تنقل كتلاً كبيرة على المحاور أو الطرق العرضانية، بل سيكون تحت تصرفها عناصر (ووحدات) ذات قابلية عالية للمناورة، مهمتها القيام «بعمليات ماثعة» تتخللها معارك قصيرة شديدة العنف، يصعب الاشراف المباشر عليها. كما سيكون من الضروري

الاعتباد على «لامركزية القيادة» وتبني ستراتيجية اقليمية اوحتى محلية متلائمة تماماً مع المنطقة المعنية التي يجري فيها القتال.

وسيكون هدف الستراتيجية العظمى، خلق الأوضاع التي تتلاءم مع العوامل الجغرافية الستراتيجية المحلية، والمناورة من أجل الالتقاء فيها مع العدو والاشتباك معه.

ومن الجدير بالذكر ان «حالة النزاع المحلي» تتطابق الأوضاع التي أتينا على وصفها وان شكل «حرب العصابات» الذي هو احد صفاتها الأكثر وضوحاً، يؤدي إلى امكانية تواجد العدوفي كل مكان، كما يؤدي إلى فقدان الأمن تماماً، ويخلق مناطق حربية متناثرة كبقع الزيت، وباستطاعته استغلال جميع الميزات الطبيعية للبلاد.

أما «الحرب الشاملة» فتجري في الإطار العالمي، ويجب التفكير فيها على هذا المستوى، بالنسبة للقتال نفسه، وللوسائل والأسلحة والأبعاد الطبيعية، كما يجب ان تضاعف جميع العناصر بالمقارنة مع شروط الحروب السابقة.

ولهذا يجب الا نتصور الستراتيجية العليا على الخريطة المفصلة لبلد معين، بل على «خريطة العالم»، وإن نستوحي من الجغرافيا ـ الستراتيجية استنباط خطوط القوة والكتبل الكبرى لوضعها على اللوحة الاجمالية، على ألا يركز الاهتمام على الأنهار الصغيرة أو الأقنية الثانوية بل على الأنهار العظمى والممرات الحولية الرئيسية. أما هدف الستراتيجية العليا فلن يكون منطقة معينة بل «بلدأ بكامله» وقد يكون «قارة بكاملها»، وفي مثل هذا الوضع لا تعتبر الجزر الصغيرة (التي بحجم جزيرة مالطا مثلاً) وإنها الجزر الكبرى كالجزيرة البريطانية أو كمنطقة افريقيا الشهالية.

وكما سبق وقلنا بأنه لن يكون هناك «مؤخرة» ولن يكون العمق الضروري للعمليات في حدود عشرات الكيلومترات بل بحدود متات الكيلومترات، وإن «البعد» الذي يسمح بتنظيم الشئون الادارية والفنية واجراء المناورة بالاحتياط

سيكون اكثر اتساعاً لدرجة قد يتجاوز معها احياناً مساحة بعض الدول الأوربية الكبرى (فرنسا، أو المانيا وانكلترا).

هذا وقد ازدادت مسافات نظام المواصلات بشكل يرتب على النقل جهوداً إضافية ويحتاج إلى تنظيم شبكات اتصال متعددة ومعدة، علماً بأن النقل والاتصالات الضرورية أيام السلم تخضع أيضاً لنفس الشروط الجغرافية السياسية لكل حلف.

ولهذا سيكون من المستحيل تنفيذ ستراتيجية واسعة دون تحضير دقيق يتناول بشكل خاص جهازين اساسيين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالشروط الجغرافية ، أما الجهاز الأول: فهو «تنظيم القيادة» الذي يعتبر نوعاً من «التحديد» للظرف الجغرافي ـ السياسي . وتنقسم القيادة في «تمفصلها» وفقاً لمسارح العمليات المحتملة التي تحددها ـ كها قلنا آنفا ـ المناطق الجغرافية وتعطيها اسمها . وفي مجال الترتيب التسلسلي للقيادة تؤ خد المصالح المختلفة للبلدان الواقعة في مسرح العمليات ، ومساهماتها العسكرية (أي قوة كل منها الذاتية) بعين الاعتبار .

والجهاز الشاني: فيتعلق «بالقواعد» وهي العناصر الاساسية للسياسة العسكرية المتياسكة. و «القواعد العسكرية» الأرضية والجوية والبحرية يجب أن تكون بعيدة عن العدو المحتمل بقدر الامكان، كما يجب ان تكون قريبة منه بقدر الامكان إذا كانت مهمتها دعم العمليات الحربية الهجومية، وأن توفر للقوات المحاربة تسهيلات ادارية وفنية واقتصادية، وامكانيات دفاعية، وكل ذلك مرتبط ايضاً بالعوامل الجغرافية السياسية.

ومن هنا تكون الستراتيجية العليا كونية، اما مسرح العمليات نفسه فيجب أن يوضع في هذا الاطار الكوني، بسبب الارتباطات المتعددة للعالم الراهن.

ومن المفيد اذن استعمال وسائل الإيضاح البيانية التي تعطي فكرة صحيحة و والطقة عن المناطق المعنية مهما كانت ضخامتها وموقعها من الكرة الأرضية. ولهذا فإن الخسرائط قد تشوه الواقع عندما تغطي مناطق واسعة جداً، ولكنها تقترب من هذا الواقع بمقدار ما يكون «اسلوب العرض» الذي بنيت على اساسه سليماً

وملائهاً للغرض المطلوب. لذلك لا بدمن اختيار «اسلوب العرض» الملائم للعامل الذي يلعب الدور الرئيسي في المشكلة المقصودة: كالتضاريس، والمواقع، والمسافات التي ترتبط بطبيعة الحال بنوع وحجم العمليات (الأرضية والجوية التكتيكية، أو الجوية الستراتيجية، أو الصواريخ، والعمليات البحرية السطحية، أو عمليات الغواصات. الخ)(1).

اما استخدام «البعد الثالث» في الفضاء وتحت الماء فيحتاج ايضاً إلى ايضاحات (رموز) تدل على عناصر خاصة به وغير مشتركة مثل: التيارات الهوائية الشديدة جداً الموجودة في الفضاء الخارجي على ارتفاعات عالية، أو التيارات والمغناطيسية والأقنية الصوتية الموجودة تحت سطح البحار وكذلك حرارة المياه المخ. . ونحن لا نستطيع هنا الاشارة بالتفصيل إلى أهمية هذه النقاط وضرورتها فذلك موضوع لبحث فني خاص.

٣ ـ استمرار المبارزة بين المحيطات واليابسة

يمكن اكتشاف صفات مشتركة لبعض الاحداث التاريخية الكبرى لازمتها عبر العصور. فالحروب الكبرى، والصراعات الطويلة التي تدوم عشرات السنين احياناً فتشتمل على عدة حروب وتهدف إلى ايجاد «توازن دولي» معين، تكاد تكون كلها بين قوتين احداهما بحرية والأخرى قارية (أمم أو احلاف) وتسعى القوة البحرية دائياً للحصول على حلفاء قاريين.

وقد كان لتوزيع الأراضي والبحار والواقع الخاصة بكل منها، عوامل ستر اتيجية اساسية، ولا تزال هذه العوامل تلعب هذا الدور مع تغيير في

Systeme de Projetion ... "

٤ ـ يمكن المقارنة على الخريطتين المنشورتين في الصفحتين .. ٩٤ ـ و .. ٩٠ ـ بين الأبعاد النسبية
 للبلاد السكندنافية ، ولمنطقة شمال غرب افريقيا ، وكذلك ابعاد الولايات المتحدة الامريكية ،
 والاتحاد السوفياتي .

المستويات. فنحن نرى اليوم تحالفات متعارضة شملت مناطق بكاملها بدلاً من المواقع المحصنة (القلاع) القديمة: فدولة تركيا هي التي تشرف الآن على مضائق إلدردنيل والبوسفور وليس «بيزنطة»(") وحدها كما كان الأمر في الماضي البعيد.

وسيقتصر بحثنا هنا على «البنى» المبدئية، مشيرين إلى صفتين بارزتين من هذا التناقض الاساسي، الذي سيبقى حقيقياً. عندما نلاحظ أن «السيادة البحرية» انتقلت من انكلترا إلى الولايات المتحدة الأميريكية، كها انتقلت «القوة القارية» من ألمانيا إلى الاتحاد السوفياتي. كها يمكن القول أن الطموحات الأساسية لا تزال على حالها. فالقوة البحرية تحتاج إلى موطىء قدم على القارة على شكل بلدان ساحلية حليفة، بمثابة درجات بحرية ارضية، وتسعى القوة القارية للحصول على عرات نحو المحيطات وتبذل اقصى الجهود لتصبح قوة بحرية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الحالات النفسية والعقلية المختلفة تتوالد من الجدواء المتجابهة التي اشرنا اليها في الجغرافيا _ السياسية، وهي توجه الدولة القارية نحو المركزية العسكرية، واستخدام القوة الكثيفة، بينها تدفع القوة البحرية لجمع الجهود التي تبدو مبعثرة ومستقلة بوسائل متعددة.

ففي «ستراتيجية المراحل المتتالية» يسعى الخيال الخصب لتعويض نقاط الضعف الأولية ، اما في «الستراتيجية الموحدة» فتستهدف القرار السريع ، وباعتبارها «التابع المخلص لكلوزويتز» فإنها تعتمد على التدخل قبل «نقطة الحد» التي سبق وتنبأت بها .

وهكذا يلاحظ أن الحروب الكبرى تجري بشكل متشابه تقريباً، حيث تكون «القوى القارية» دائماً مهاجمة وتحصل على نجاحات أولية كبيرة يخيل إليها في لحظة ما انها ربحت الحرب، ولكنها لا تلبث ان تخسرها في النهاية.

وفي كل الأحسوال يجب ان نتحفظ من اعتبار هذه المبادىء قوانين ثابتة.

ويعني هنا مدينة بيزنطة واستاء ول التي كانت تعتبر موقعاً محصناً يشرف على المضائق .

فالمبارزة بين القارة والمحيط في حرب ما، تفترض استمرار هذه الحرب فترة من النزمن. وبما لا شك فيه أن الحرب النووية الشاملة لا يمكن أن تستمر إلا لبضعة أيام ومع ذلك فسيكون الدمار الذي ستحدثه رهيباً، غير أنه لا يمكن أن نستبعد تحولها بعد ذلك لتأخذ شكل الحرب الكلاسيكية، حتى مع استخدام الاسلحة النووية التكتيكية. أو في حالة والنجاة وملابساته من أجل فرض ارادة الطرف المنتصر على بقية اجزاء العالم التي كانت خارج الصراع.

ومهما يكن الأمر فإن العالم الحديث سيصبح بحرياً يوماً بعد يوم أو عيطياً (نسبة للمحيطات) على الرغم من تطور الوسائل البرية والجوية، لأن هذا العالم يعيش على المبادلات القائمة على المواصلات والنقل.

والقوة البحرية لا تقوم على الاساطيل الحربية فقط بل تحتاج للأساطيل التجارية لأن هذه لا بد منها لبسط النفوذ على المستوى الكوني. ويكفي للدلالة على ذلك ما نراه من الجهود الجبارة التي تبذلها الدول الكبرى لتوسيع اساطيلها، فالولايات المتحدة الأميريكية اصبحت القوة البحرية الأولى في العالم وتسعى لكي تحتفظ بهذا المركز، ويليها في هذا الميدان الاتحاد السوفياتي الذي يطور اساطيله البحرية التجارية والحربية بسرعة مذهلة.

وفي السنوات الأخيرة بدأت الصين تتجه جدياً نحو البحار تحدوها القناعة التامة بأنه لا بد من السيطرة البحرية على المحيط الهادي من أجل السيطرة على نصف العالم الشرقي.

اما بالنسبة لبقية بلدان العالم فإنها بطبيعة قوة الأشياء ان لم تضطرها القوة للمخضوع وقبول التبعية ، فإنها مجبرة على اختيار شكل من أشكال القوة : ومما لا شك فيه حتى بالنسبة لدولة قارية كالمانيا لا بدلها من منفذ إلى البحار لكي تحتفظ باستقلالها ومكانتها في العالم .

٤ ـ التقنية، والحجم، والردع
 تتحكم «التقنية» في الحياة الحديثة، وتحدد مستقبلها في جميع الميادين

الاقتصادية والسياسية والعسكرية . . ويتم ذلك في جميع المستويات بدءاً من المؤسسات أو الشركات الصغيرة وانتهاء بالأمم .

فنحن اليوم في عصر الالكتر ونيات والحاسبات او العقول الالكتر ونية، وعصرة الندرة والسفن الفضائية. لم يعد التقدم متوقف على الاكتشافات العلمية بالمعنى التقليدي للكلمة، فحسب، بل بالاستخدام المستمر للتكنولوجيا المتقدمة؛ واصبح من الضروري انشاء مجموعات تضم عدداً من الأدمغة تعمل مشتركة في اطار منظهات أو مراكز ابحاث ضخمة للوصول بالبحوث إلى نتائج ملموسة وتحقيق منجزات قابلة للحياة والاستخدام.

وادت هذه الضرورات إلى ظهور مفهوم «الحجم» (Dumension) او «الحد الادنى» من السوسائل الفكرية والمالية والمادية والتي لا يمكن بدونها المحافظة على وتيرة معينة للتقدم أو النضال على الصعيد العالمي . ومن الطبيعي أن يكون «الحجم» من خصائص البلدان العظمى ، والاتحادات الفعالة للدول الصناعية المتوسطة كالبلدان الأوربية ؛ وأن الاستقلال الحقيقي اصبح متوقفاً على امتلاك هذا «الحد الادنى» من الوسائل .

ومفهوم «الحجم» أو الكتلة يفرض نفسه على الستراتيجية الحالية بنفس القسوة أيضاً. ولقد سبق أن ذكرنا بأن «الكتلة» يعطي «البعد» الذي يسمح بالانتشار والنجاة، ويموفر الامكانيات للحركة. وهو وحده في مستوى الاسلحة الحديثة وامديتها وقوتها وكذلك مجموع الوسائل الضرورية في حرب حديثة هامة (۱۰).

٦ ـ يتضح من ستر اتيجية اسرائيل العدوانية التوسعية التي ظهرت منذ حرب السويس، وحرب الأيام الستة والعدوان على جنوب لبنان، ومن نوع الأسلحة الحديثة التي تمتلكها، والايديولوجية التي تهتدي بها، بأن تسعى للحصول على نوع من والحد الأدنى، وهي تقاطيل بكل الوسائل لتخفي هذا، المدف الذي ينطبق تماماً على ونظرية المجال الحيوي، الذي نادت به النازية في المانيا والفائسية في ايطاليا.

وهكذا فإن «الحجم الجغرافي» ينضم وللحجم التكنولوجي» ليزيد تدريجياً من خطورة الفوارق بين قوة البلدان ويضاعف من سيطرة البلد الأكثر قوة. وفي ميدان الستراتيجية الكونية، اصبحت ضرورات الدفاع تستدعي اقامة الاحلاف بين «الدول المتوسطة» التي تجابه مثل هذه الضرورات، لأن العوامل الجغرافية الستراتيجية تفرض قيام المجموعات المتهاسكة (المواقع الخاصة بكل من الاعضاء والاتصال الممكن بينها)؛ ومن ناحية أخرى فإن الروابط المتينة بين جميع ميادين النشاط، والتعاطف الايديولوجي تؤدي مجتمعة إلى قيام مجموعات دولية تكون بنفس الوقت احلاف عسكرية واتحادات سياسية واقتصادية قابلة للعمل الفعلي في القائمة في كل من «الكتلتين» الغرب، وإن الوضع الدولي الراهن يضطر المجموعات بينها، كما هو الوضع بالنسبة للولايات المتحدة الأمير يكية في حلف الأطلسي، وللاتحاد السوفياتي في حلف الأطلسي، وللاتحاد السوفياتي في حلف وارصو، وتسري هذه القاعدة ايضاً على بقية الاحلاف مثل الحلف المركزي وحلف جنوب شرقي آسيا، الخ...

وتسعى الصين جهدها في السنوات الأخيرة لتقيم حولها تنظيماً دفاعياً شبيها بحلف الأطلسي وحلف وارصو لأنها اصبحت من حيث «الكتل» العملاق العالمي الثالث. غير ان تخلفها الأولى اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً ساعد على تعرضها لبعض محاولات وتدابير «الاحتواء» التي وصلت احياناً إلى درجة الصدام المسلح تارة مع الدولايات المتحدة الامير يكية (٥٠)، وتارة اخرى مع الاتحاد السوفياتي (١٠) والواقع ان الصين لم تمتلك «الحجم» الاقتصادي الضخم والتكنولوجي المناسبين

٧ - كان السدام بين امريكا والصين مباشرة على ارض الصين من خلال دعم امريكا لشان كاي شيك، ثم في حرب كوريا، وحرب فيتنام.

٨ ــ كان ذلك اثناء اشتباكات الحدود، ومن خلال دعم الاتحاد السوفياتي للهند اثناء خرق الصين لحدودها، ونراه اليوم من خلال الاشتباكات بين فيتنام الديمقراطية وجمهورية الكميرا كمبوديا التي تساندها الصين.

لكتلتها الطبيعية والبشرية الهائلة، غير ان الامكانيات والمقاومات التي تختزنها هذه الكتلة تعزز قوتها النووية التي تعمل على انجازها لتجعل من كل ذلك خطراً حقيقياً تخشاه الكتلتين المعروفتين.

ويمكن الاعتقاد ان امتالاك الدول المتوسطة للقوة النووية يضعف من فضائل «الكتلة» لدى الدول الكبرى. فمن الواضح جداً في المجال الاقتصادي على الأقل ان الدول المتوسط المتطورة استطاعت المحافظة على قوتها الخاصة فهل يمكنها ذلك في المجال العسكري؟. صحيح ان الأسلحة النووية الستراتيجية توفر لصاحبها «سلطة ردع» لا بد لأي خصم مهما كانت قوته ان يحسب حسابها، غير ان «الردع» نفسه يبقى نسبياً، لأن التخريب الضئيل الذي يحدثه الهجوم النووي على «بلد عملاق» لا يقضي على امكانيات «الرد». اما البلدان المتوسطة والصغيرة فتكفي «رشقة نووية» واحدة لتدميرها والقضاء على امكانياتها.

ومسع تقيدنا بعدم اعطاء حكم قطعي بقيمة اسلحة الردع النووية الستراتيجية، إلا أن ذلك لا يتعارض مع ابداء بعض الملاحظات في هذا الموضوع.

فقبل كل شيء يجب الا نعتقد بأن حيازة هذا السلاح اصبحت امراً نهائياً، وكذلك الأمر بالنسبة لمستلزماتها العسكرية الضرورية ووسائل الحهاية الملائمة لها، ذلك أن هذه الأشياء كغيرها تخضع لقانون التقدم التكنولوجي العنيد. وان كل ما يبدو الآن فعالاً ليس من الضروري ان يبقى كذلك في الغد. . وعليه فإن الجهود التقنية والصناعية المستمرة هي في النهاية اعظم أهمية واكثر كلفة من «القنابل النووية» نفسها لأنها تحدد قيمة نوع السلاح وهي وحدها تتطلب «الحجم».

هذا بالإضافة إلى أن «الردع» لا يلغي خطر الحروب المحتملة، خاصة إذا كان الخصم المحتمل الأكبر موجوداً على نفس القارة وعلى مسافات أصبحت ضئيلة بالنسبة للأسلحة الآلية الحديثة: وبذلك يصبح الردع من اختصاص اسلحة اخرى قادرة على ايقافها، وهذا يتطلب توفر الاسلحة النووية التكتيكية الموجهة بشكل ذكي وفعال يتلاءم مع الشروط الجغرافية الستراتيجية. واذا ما

اهملت هذه الشروط فان «المهاجم الجبار» يمكن ان يفضل عاملاً يرد على بعض الطلقات النووية واعتبارها شيئاً مقرراً مسبقاً؛ وتقدير أن الاحتلال السريع والشامل للأراضي خاصة الفنية وهي سليمة ستعوضه في المستقبل عن الدمار الجنزئي الذي اصابه من جراء هذه الطلقات التي اشرنا اليها. . كما يمكن ان تجري الامور على غير هذه الصورة إذا كانت القدرة على التدمير النووي متساوية لدى الطرفين وخاصة عندما يشكل احد المحيطات نوعاً من الجماية في وجه المجوم العسكري المركز المستدرج، أو ضد الضربات المتلاحقة العنيفة . . وعلى كل حال، يجب الانسى بأن اكبر الدول مهما بلغت اسلحتها النووية من القوة والقدرة على الردع لم تتوقف لحظة عن تحسين وتطرير اسلحتها الكلاسيكية حتى كان موقعها الجغرافي نطاق الهجوم البري المباشر.

وأخيراً فقد اصبح من المعروف لدى الجميع ان قرار استعمال الاسلحة النووية مسئولية رهيبة تقع على عاتق السلطة السياسية الدمليا وحدها، وما من دولة في هذه الأيام، يمكن أن تقدم على اعلان الحرب النووية الشاملة دون أن تعصل على الموافقة الاجماعية المسبقة والضمنية والمعنوية لشعبها. (ويمكن أن نستني الصين من هذه القاعدة) وهذا يفترض تضامناً وانسجاماً أدبياً لهذا الشعب الذي يتوقف عليه الموافقة على عملية الردع، وهنا تبرز اهمية الصفات القومية الأساسية لشعب ما، ونحن نرى على سبيل المثال كيف أن الاتحاد السوفياتي يكرس الجهود الجبارة لتثقيف الشعوب السوفياتية بالاعتماد اساساً على الشبيبة والمنظهات شبه العسكرية. ولا تسير الامور على هذا المنوال في اطار المجموعات المدولية الاخرى، حيث يصعب اتخاذ قرار الردع بالاجماع اللهم إلا أذا وصلت المصالح المتشعبة والآراء المشتركة الى درجة توحيد موقف اعضاء هذه المجموعات.

الجغرافيا السياسية - والجغرافيا - الستراتيجية
 إذا كانت مطامع الدول الحديثة لم تعد تستهدف اطلاقاً الاستيلاء على

اراضي الخصم لضمها نهائياً، فإن رغبتها بامتلاك القوة لم تتبدل. وهي لا تحتاج اليوم لفرض هذه المطامع بقوة السلاح، لأنه اصبح بامكانها فرض اشرافها العسكري والاقتصادي، أي الاشراف السياسي، بشكل مباشر اوغير مباشر دون اللجوء للسلاح، ومع ذلك فإن هذا الاشراف يبقى فعالاً ويهارس تحت شعار الاستقلال الوطني الذي لا يتجاوز حدود الشكل وليس له في الواقع أية قيمة حقيقية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة لدرجة يصعب حصرها. وان متانة وقوة المجموعات الدولية تتوقف على العناصر الأساسية التي بنيت عليها (الاقتصادية والعسكرية والايديولوجية الخ. .) والتي تستند بدورها على العوامل الجغرافية السياسية والستر اتيجية الحاسمة.

وان العلاقة الوثيقة بين الفهم الصحيح لهذه القوى من جهة وحسن استثارها من جهة اخرى تجد اهميتها لتحقيق التشابك والانسجام المتبادل بينها.

وصحيح أيضاً أن الوسائل الحديثة والاسلحة النووية تحدث تعديلاً عميقاً في معطيات المشاكل، إلا أن الأحداث تذكرنا بانتظام بالأهمية الجوهرية للعوامل الجغرافية التي طالما اثبتها التاريخ، ومع ذلك فإنه من الأفضل أن تفهم القوى على أساس الوقائع الراهنة. ولكي نقترب اكثر ما يمكن من الشيء الذي يهمنا فإننا سنورد بعض المعطيات التي ابرزتها الأزمات الجديدة وبرهنت على تحكمها بالتوازن الدولي بين الغرب والكتلة السوفياتية ومع ذلك فقد اعتاد الناس على التقليل من اهميتها:

فالموقع القديم المعروف تحت اسم «الرباعي البوهيمي Quadrilatère de فالموقع النسيان منذ Bohême ، والذي يشكل المفتاح الستراتيجي لاوربا الوسطى ، طواه النسيان منذ مؤتمر ميونيخ (١) (ليس بالنسبة لجميع الناس بالطبع) ؛ والسيادة على البحر المتوسط

والأمن الضروري للمواصلات البحرية في داخله، والاستعمال المحتمل والممكن للقواعد الموجودة بين مصر والمرسى الكبير في الجزائر، كل هذا أيضاً يقال عنه أنه عديم الفائدة؛ وعلى صعيد آخر، ولكنه مرتبط بسابقاته، نجد «موقع الجزر البريطانية، لا يفقد أهمية إلا ببطء شديد على الرغم من تحول بحر المانش إلى قناة ضيقة. . الخ . . وفي اعتقادنا انه ليس من الضروري الاشارة إلى مضاعفات هذه الحقائق الجديدة على تطور الاحداث الدولية ونتائجها في العالم الغربي، وكذلك التحكم بهذه المضاعفات وما ترمز اليه في الجهة المقابلة .

في الأراضي الهنغارية والبولونية. وخيل لتشابرلان أنه انقذ السلام العالمي بهذه التنازلات ولكن هذا التراجيع المخزي من قبل الدول الغربية (وخاص انكلترا وفرنسا) امام الدكتاتور هتلر، وتخليها عن التراساتها تجاه اصدقائها وحلفائها من دول اوربا الوسطى افقدها سمعتها وشجع السدكتاتورين هتلر وموسوليني على التهادي في الطموح وادى ذلك بالنهاية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. ومنذ ذلك الوقت اصبح اسم «ميونيخ» يعبر عن الخيانة الدبلوماسية والانتهازية في السياسة الدولية التي لا تقتر ن بأية نتيجة ايجابية.

الفصل السادس

الوجه الجغرافي الستراتيجي للعالم الحالي

دإن القوى الاندفاعية تمارس دائماً بنفس الاتجام»

ماكندور

إن كل ما تقدم يحملنا على دراسة الوجه الجغرافي الستراتيجي للعالم الحالي وذلك بالاستناد الى أحد النهاذج الجغرافية ـ السياسية التي اتينا على ذكرها. وفي اعتقادنا ان نظرية ماكندور هي اكثر هذه النهاذج اغراء لأنها تبرز التقسيات الأساسية التي تتطابق في اطارها الكوني مع تقسيهات الزمن الحاضر. ولكن الواجب يقضي بتسجيل الوقائع الاساسية للجغرافيا ـ السياسية على هذه اللوحة الخلفية الثابتة لكي تعطى لهذه اللوحة معناها الحالي. ويجب أن نعترف سلفاً أن هذه الدوقائع سوف تبقى خاضعة لمدة طويلة أيضاً الى حقيقة تقسيم العالم الحالي بين «الكتلة الشيوعية» ومايسمى «بالعالم الحر» (الذي يتألف من الكتلة الغربية والعالم الثالث) ".

١ - ان النظرة الموضوعية لما يسمى بالعالم الشالث لاتؤدي الى نفس النتيجة التي وصل اليها
 المؤلف من اعتبار هذا الجزء من العالم تابعاً لكتلة الغربية. كما لايمكن اعتباره جزءاً من الكتلة

صحيح أن «مفهوم الكتلة» أو الكلمة نفسها ليس لها نفس القيمة المطلقة هنا وهناك، وإن تعريف العالم الثالث ابعد ما يكون عن الجمود، إلا أن هذه التسميات أصبحت دارجة على ألسنة الناس ومعترف بها وسوف نعمد إلى استخدامها تحرياً للسهولة. ومن المناسب قبل كل شيء أن نستعرض نتائج هذا التقسيم في اطار لوحتنا الجغرافية الستراتيجية.

فكتلة «الجزيرة الكونية» World island التي عرفها ماكندور تكاد تكون في مجملها تحت سيطرة العالم الشيوعي من الستار الحديدي غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً، ولكن محيطها باستثناء الصين يتألف من بلدان «التخوم البحرية للرضية» العائدة للعالم الغربي أو العالم الثالث.

وهكذا نجد أن الوحدة الطبيعية لـ «اوراسيا» تتدعم بوحدة ايديولوجية في ظل الماركسية. غير أن التهاينزبين أوربنا وآسيا لايزال قائماً على الرغم من هذه العنوامل. وإن القطيعة بين الشيوعية الصينية، والشيوعية السوفياتية تتفق بشكل غريب مع العنداوات العرقية والقومية القديمتين، وهذه أيضاً تستند الى الوقائع الجغرافية السياسية.

ولا يزال البحر هو الصلة الطبيعية الوحيدة روحياً ومادياً بين أجزاء العالم الحر المبعثر جداً.

«والجزيرة الامريكية العظمى» هي القطعة الرئيسية في العالم الحرعامة وفي الكتلة الغربية خاصة، وهي تقف بمواجهة «اوراسيا» من الشرق والغرب والشهال عبر المحيط الأطلسي والمحيط الهادي والمحيط المتجمد الشهالي، وبين جزئيها الشهالي والجنوبي تشكل «امريكا الوسطى» احدى المناطق الوسيطة غير المستقرة، بل هي احدى نقاط الاتصال العالمية التي تعج بالدول الصغيرة. ونظراً لكونها

الشيسوعيسة ، وعلى الرغم بما يكتنف الآن من تخلف وضعف وما يدور في داخله من متازعات وارهساصات ، فإنه باعتقادنا يمكن ان يقوم بدور المرجح بين الكتلتين الهائلتين او من والعبالقة ، المذين يتطلعون وبنهم ظاهر، إلى تقاسم النفوذ والتسلط على هذا العالم . (المعرب)

«مفصلا» شديد الحساسية، فإنها تعتبر هدفاً دائماً لستراتيجية الخصم حتى في زمن السلم. ويمكن اعتبار «كوبا» أكبر دليل على ذلك لأنها أصبحت بمثابة «الورم السرطاني» في مفصل الجسم الأمير يكي الكبير.

أما بلدان العالم الشالث فتتضامن في اطار الحياد المتأرجع بين الكتلتين، وتحتل شريطاً عريضاً من الكرة الأرضية يغطي «اوراسيا الجنوبية» والجزء الأعظم من افريقيا، وفي وسط هذا العالم يقع «المفصل الحساس وغير المستقر المعروف باسم الشرق الأوسط». وإذا نظرنا للعالم الثالث من الشرق الى الغرب لاحظنا أن هذا الشريط يصل الى النتوء الغربي للقارة الافريقية. ويكون بذلك أقصر الطرق وأفضلها باتجاه المفصل الغربي، بالنسبة للخصم الذي لايسيطر على اوربا الغربية . أما اذا نظرنا اليه بالاتجاه المعاكس يصبح نفس الطريق الذي مونت بواسطته امريكا بين عام ١٩٤٧ - وعام ١٩٤٥ ، البلدان الحليفة في الشرق كها مونت الاتحاد السوفياتي عبر هذه البلدان.

واخيراً فإن نفس الطريق الذي تحاول الستراتيجية السوفياتية «تعليمه» على مراحل بمحاولتها التسلسل الى سورية، ومصر، والسودان وغينيا ثم كوبالاً،

ومن الجدير بالذكر أن نقطتي الاتصال الامير يكية «امريكا الوسطى» الافرو آسيوية «الشرق الأوسط» تختزنان في باطنها كميات هائلة من احتياطي البترول في العالم وهذا وحده يكفي لكي يجعل منها اهدافاً من الدرجة الأولى لكل ستراتيجية كونية.

واخيراً لابد من ابداء ملاحظتين هامتين بالنسبة للعالم الثالث:

٧ - ان هذا الطريق التي يشير اليها المؤلف تعود إلى فترة الخمسينات والستينات من هذا القرن، وان القاء نظرة فاحصة على خريطة العالم في السبعينات تظهر مدى التبدل السريع الذي يطرؤ على هذا الطريق الستراتيجي الكوني بالاتجاهين، نتيجة للتنافس المستمر بين العالقة. (المعرب).

1 - من الناحية السياسية: لم تكن الافكار هي الأساس الذي بنيت عليه هذه المجموعة الدولية. ولكنها اقيمت على العواطف التي تشكل نوعاً من الايديولوجية السلبية، ولهذا فهي معرضة للزوال مع الاسباب التي اوجدتها وهي الاستعمار. كما أن «الوحدة الاسلامية» تلعب فيها دوراً جزئياً. ومع ذلك فإنه لن يكون في مقدور هذين العاملين (العداء للاستعمار، والاسلام) دفع العالم الثالث كلياً أو جزئياً باتجاه هذه الكتلة أو تلك وفقاً للظروف.

٧ _ من الناحية الاقتصادية: ان الشروط الاقتصادية. تمليها الحياة نفسها والرغبة بالازدهار ان امكن والعالم الثالث يرتبط بالمواصلات الخارجية والبحرية منها على وجه الخصوص، كما ينقسم طبقاً لانقسام المحيطات التي ينفتح عليها.

اما الشروط العسكرية والعملياتية والادارية فإنها تفرض نفس التقسيات الستراتيجية من أجل نفس الأسباب.

وعلى ضوء هذه الملاحظات التي لابد للستراتيجية الكونية ان تدرسها بها يتفق مع ثلاثة مناطق كبرى تحمل كل منها اسم احد المحيطات. وهذه المناطق هي:

ـ المنطقة الأطلسية . منطقة المحيط الهادي ومنطقة المحيط المتجمد الشهالي . ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن كلاً من هذه المناطق الثلاث تفرضها مجموعة من المعاهدات التي تجسد تتناسب مع أهمية المصالح التي تتصارع فيها .

ومن المعروف أن التقسيم الذي تبنيناه في هذا البحث يتناسب مع نظرة شماملة وعامة جداً للكرة الأرضية، وإن الدراسة الكاملة ستضيف اليها بالطبع تقسيهات اخرى اكثر تفصيلاً ولكننا لن نتعرض إليها في اطار هذا الكتاب المحدود.

١ _ حدود المناطق:

(انظر الشكل .. ٤ . والشكل .. ٥ . الصفحتين ١٢٧ او١٢٧ إن منطقتي المحيط الأطلسي والمحيط الهادي ، مفصولتان عن بعضهها بالقارة الاميركية من كندا حتى أرض النار La terr du Feu أمن جهة، وبالخط المذي يصل بحر كارا La Mer KARA (1) برأس الرجاء الصالح عبر الادرال وبحر قزوين وبغداد وبحيرة فكتوريا.

اما منطقة المحيط المتجمد الشهالي فتشغل الدائرة القطبية، باستثناء شبه الجزيرة السكندنافية حتى البحر الابيض أوذلك الجزء المتحرر من الجليد _ بفضل التيار الساخن المسمي غولف ستريم Gulf Stream _ اللذي يوصلها بالمحيط الأطلسي .

والمنطقة الأطلسية تغطي البحار الداخلية، كبحر البلطيك، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود.

أما منطقة المحيط الهادي فتضم المحيط الهندي، وهذين المحيطان متصلان ببعضها من كل النواحي (٥٠).

(انظر الخرائط على الصفحتين ٢٢ ١٢٣١)

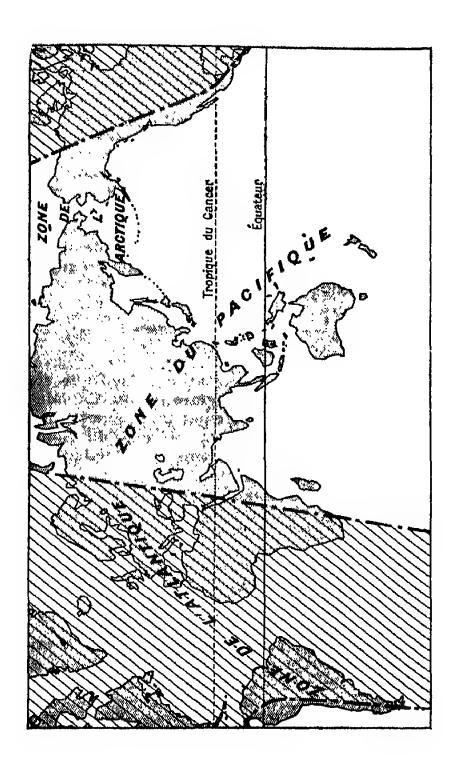
وإذا كان من الطبيعي أن يسعى مشل هذا التقسيم ليكون منطقياً، إلا أنه مع ذلك يبقى كيفياً على مستوى الأمكنة، فهويقسم الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط الى قسمين، بينها يشكل كل منهها مجموعة جغرافية متهاسكة واحدة. ولكن يتفق في الاتحاد السوفياتي على التقسيم التقليدي الذي يميز بين روسيا الاوروبية وروسيا الاسيوية، اللتان لم تتوحدا عبثاً، أما الشرق الأوسط فهي ملتقى طرق عالمي ونصفه الشهالي الغربي كان منجذباً على الدوام الى البحر الأبيض المتوسط. بينها يتجه نصفه الجنوبي الشرقي نحو الهند والشرق الاقصى (1).

٣ .. النقطة التي تقع في اقصى الجنوب من امريكا الجنوبية وتسمى Tierva Delfugo

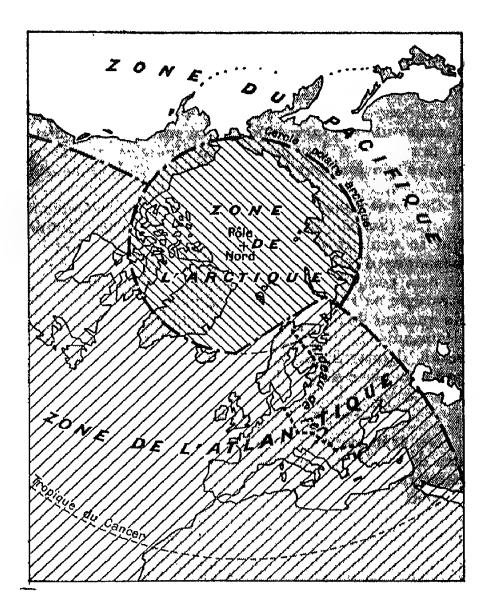
٤ ـ بحر كارا يقم في شهالي الاتحاد السوفياتي بين بحر بالانت وبحر ليبتف.

يتجنب المؤلف ذكر المحيط العربي الذي يقع جنوب شبه الجزيرة العربية بين سواحل افريقيا
 والمحيط الهندى .

٦ لعل هذا التوزيع ايضاً يفتقر إلى الدقة ولا يخلومن الغرض، لأن هذه المنطقة ذات حضارة عريقة وعالمية ومفتوحة على كل الجهات دون أي تأثير ظاهر من النوع الذي يذكره المؤلف.



شكل ـ ٤ ـ منطقة الأطلسي والباسفيكي



شكل ـ ٥ ـ منطقة البحر المتجمد الشيالي

ومها يكن هذا التقسيم الجغرافي، فمن الضروري ألا ننسى اطلاقاً الترابط المتبادل بين البلدان، الذي لايمكن أن تلغيه كل التدابير المصطنعة المناقضة للطبيعة.

والمناطق الكبرى الشلاث تشتمل على بلدان حيادية فعلا (مثل سويسرا

والسويد) وبلدان من العالم الثالث تسعى كل جهدها لتكون «غير منحازة، إلا أن ميسول كل بلد منها يختلف باختلاف الظروف ولهذا الأمر أهمية في المراحل التحضيرية لستراتيجية زمن السلم، غير أن الحرب اذا استمرت لفترة طويلة لن تسمح لهذه البلدان بأن تبقى معزولة عن الصراع وسيكون خيارها خاضعاً _ اذا لم يكن مفروضاً _ لكان موقعها في الاطار الجغرافي الستراتيجي الكوني.

٢ .. الترابط المتبادل بين المناطق:

تضم كل من المناطق الكبرى الشلالث التي أتينا على ذكرها جزءاً من والمدولتين العملاقتين اللواتي يتبوأ كل منها الزعامة في المعسكر التابع لها (وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي). وسوف نرى ان الأحزمة المحيطة بكل منها تلعب دوراً عماثلاً.

۱ ـ امریکا:

فالسولايات المتحدة الامريكية تشكل مع كندا ـ المرتبطة بها من كل النواحي ـ كتلة منسجمة طبوغرافيا، ولكن بنيتها الداخلية متنوعة جداً، فالجزء المركزي منها ذو الطبيعة القارية نسبياً يحتفظ بميول انعزالية ويهتم بهذه المنطقة أو تلك حسب الاحداث ومضاعفاتها على حياته الخاصة.

وعلى عكس ذلك فإننا نجد الاجزاء الشرقية والغربية ذات «طبائع محيطية» جداً ولها افكارها ونشاطاتها التي تشد كل منها أو الشرق الأقصى طبقاً لموقعه.

وتسربط قناة بناما بين هذين الجنوشين بالاضافة للطرق الجوية والبرية. فتساعد على انتقال الاساطيل البحرية الامريكية لسهولة من محيط الى آخر. ومن المعروف أن هذه الأساطيل تشكل مع القوى الجوية العناصر الاساسية لقوة المولايات المتحدة الامريكية العسكرة. والقناة تشكل نقطة ستراتيجية جوهرية وبالتالي فهي هدف حيوي من الدرجة الأولى.

وعلى الرغم من المسافات والتنوع الداخلي للولايات المتحدة الامريكية الا

انها تحتفظ بصفة «جزيرية» أكيدة. وتعتبر لذلك قوة عسكرية بحرية نموذجية ، خاصة وأنه لايحيط بها بلدان عدوة على أرض نفس القارة. وان قواتها البرية المسلحة مدعوة دائها للعمل في مناطق «ماوراء البحار» حتى ولوكان ذلك على أرض القارة نفسها. ولهذا السبب فإن القوى الجوية ، والقوى البحرية بشكل خاص بها في ذلك المشاة البحرية ، تلعب دوراً أساسياً في العمليات التعرضية وفي تأمين النقل الفسروري. لاقتصادها الهائل ولحاجاتها العسكرية. وان المرونة وسرعة الحركة المدعومة دائماً بلاسلحة الحديثة تميز هذه القوات التي تقف باستمرار على أهبة الاستعداد للعمل في المناطق البعيدة.

والسواقع النسووي لا يتنساقض مع هذه الصفة فبالاضافة للصواريخ العابرة للقسارات، نرى أن قواتها السرادعة وقسواتها الضاربة عند الاقتضاء، تتألف من الطيران الثقيل، ومن حاملات الطائرات والغواصات النووية القادرة في كل لحظة على اطلاق قذائفها النووية على أية نقطة من الكرة الأرضي.

اما من وجهة النظر الدفاعية، فإن الخطريهدد بشدة عناصر هذه القوة نفسها أولاً: بسبب التمركز الصناعي والبشري في الجزء الشهالي الشرقي وعلى الشواطىء المطلة على المحيط الهادي فيجعل منها اهدافا مثالية للهجوم النووي، وثانياً بسبب المواصلات البحرية الحيوية. وهذا يعني أنه لابد للولايات المتحدة والمانياً بسبب المواصلات البحرية الحيوية والجزيرة الامريكية الهائلة (أي القارة الامريكية من الاحتفاظ بالسيادة البحرية والجزيرة الامريكية الهائلة (أي القارة الستر اتبحية العامة، فإن الأرض الجديدة المعلين الأطلسي والهادي وعلى مستوى الستر اتبحية العامة، فإن الأرض الجديدة العامة مع القارة وان الستر اتبحية جزر الانتيل تكاد تكون متصلة ببعضها البعض شأنها بذلك كشأن البرزخ الذي تشكله أمريكا الوسطى. أما جزر الهاواي من ناحية وجزر برمودا والسلفيرا من الناحية الأخرى فتعتبر «شواخص» ثمينة، ولكن عزلتها تحدد من امكانياتها، وعلى العكس فإن احتلالها من قبل العدو المحتل سيشكل في حالة حدوثه خطراً جوياً على امريكا. وفي الشمال توفر غروئنلاند والجزر الكندية مواقع متقدمة، ولكن المناخ القطبي القاسي في كل منها يشكل معوقاً جوياً. كها أن افتقار امريكا

للجزريزيد في الفعالية الدفاعية للعزلة الامريكية ولكنه لا يعطيها أي «بعد» لتغطية اراضي القارة ضد الهجوم الجوي: لذلك نرى ان الولايات المتحدة الامريكية تبذل جهوداً جبارة لسد هذه الثغرة، عن طريق استخدام «الجزر العائمة» التي تشكلها بعض الكتل الثلجية المتجمدة، كما تبني جزراً صناعية تزرعها في عرض المحيطات مقابل شواطئها وتنصب فوقها عطات الكشف والانذار الالكتروني البعيدة المدى، كما تستخدم بعضها لاقلاع الطيران العمودي ".

وأخيراً فإن شبه جزيرة الاسكا التي تكملها مجموعة جزر الاليوتين Aleoutiennes تشكل موقعا ستراتيجياً هاماً. بسبب جوارها المباشر للاراضي السوفياتية (عدة كيلومترات فقط عند مضيق برنك) وبسبب ما تسمع به من اشراف على مضيق بهرنغ، هذا المسر الاجباري للطريق البحري الذي يصل «مورمانسيك» بدوبقلاديقوسنك» عن طريق الشمال، كما تشكل قاعدة جوية هامة نظراً لموقعها الملاثم للطيران، وبذلك توفر أراضيها عدداً من المراكز الملائمة للرصد وللقاذفات الثقيلة.

٢_ الكتلة الشيوعية:

يحتل القسم الأعظم من العالم الشيوعي «الكتلة القارية من أوراسيا». وقد سبق وأتينا على على ذكر الخصائص الجغرافية السياسية لهذه الكتلة. فقد كانت روسيا دائها «برية عسكرياً» ولم تكن قواتها الجوية نفسها لمدة طويلة سوى قوة للدعم الجوي التكتيكي للجيش بالاضافة لطيران المطاردة، وتقوم ستراتيجيتها التقليدية في المجوم، على استخدام قوات هائلة متهاسكة، وتقوم في الدفاع على الاستمرار بارهاق المهاجم على جبهته الواسعة الى ان يتفكك.

وتبقى هذه الستر أتيجية على حالما في حالة نشوب حرب على القارة في

٧ ــ او كمحطات للاتصالات السلكية واللاسلكية عن طريق الاقمار الصناعية وتوجيه الصواريخ
 والسفن الفضائية .

الشرق والغرب مع التغيير الذي تفرضه سرعة الحركة للجيوش والأسلحة الحديثة.

ولكن العدو المحتمل الرئيسي (للاتحاد السوفياتي) منذ الآن يقع ما وراء المحيطات ولايمكن اصابته الاعن طريق الجوأو البحر. ومن هنا تبرز حاجة الاتحاد السوفياتي الماسة لستر اتيجية ذات طبيعة بحرية. وبهذا نجد الاتحاد السوفياتي رغم امتلاكه للصواريخ العابرة للقارات ذات الرؤ وس النووية، يعود لتبني السياسة العسكرية الروسية القديمة ويهارسها بشكل ممتاز وتتلخص: بالسعي للحصول على منافذ للمحيطات، وإقامة قواعد بحرية خارجية ولتشكيل سطول بحري حديث وقوي.

وقد سبق لقيصر روسيا بطرس الأكبر أن قال في هذا الصدد: «ان الدولة التي ليس لها سوى الجيش لايكون لها إلا ذراع واحد، ولهذا لابد لها من امتلاك اسطول بحري لكي يصبح لها ذراعان». ويلاحظ الآن هذا الطموح في طريقه للتحقيق..

وهكذا فإن وضع الانحاد السوفياتي في العالم وقوة دولته العملاقة. وايديولوجية ذات الاهداف الكونية. تتكاثف لكي تحقق مفهومين اساسيين في المجال المزدوج للجغرافيا _ السياسية والجغرافيا _ الستراتيجية واحد هذان المجال المزدوج للجغرافيا _ السياسية والجغرافيا _ الستراتيجية واحد هذان المهومان «قارياً» ويتطور خلف ستار «المقافز» الخارجية التي تشكلها البلدان تكون قواعد انطلاق تعرضية للاحتكاك بالخصم المحتمل، أما المفهوم الثاني فهو وبحري» يشبه المفهوم الغربي.

ومن الجدير بالذكر أن المفهوم الأول يتلاءم مع العزلة الخاصة بالكتلة الشيوعية بل ويدعمها، والمفهوم الثاني يتجه على عكس ذلك للخروج من العزلة كهاكان يتمنى القياصرة القدامى، وهو يحتاج الى الحلفاء أو على الأقل لمقد الاتفاقيات مع البلدان البعيدة التي يجب كسب صداقتها؛ وهذا لا يمكن أن

يتم بدون مخاطرة، ويستلزم اقامة علاقات مع البلدان الأخرى الامر الذي يحتاج «المرونة» لا الى «الاملاء والقوة» على الآخرين.

هذا وقد سبق واشرنا الى المحاسن التي يوفرها «الحجم» للاتحاد السوفياتي، فهويوفر البعد الهائل لانتشار العناصر الحيوية، والاحتياطات الضخمة من كل الأنواع، ولكن ذلك لايخلومن المساوىء، وخاصة باتجاه الصين التي لم تعد صديقة ويمكن ان تصبح عدوة. وإذا كانت «الكتلة السيبيرية» تشكل ورقة رابحة لا مثيل لها فإن المسافات الداخلية الطويلة الناتجة عنها يشكل بدورها عوائق جدية، يزيد في خطورتها «المناخ القاسي».

ويبذل الاتحاد السوفياتي جهوداً جبارة لتحسين خطوط مواصلاته: كالأقنية الضخمة على المحاور شيال - جنوب؛ والطرق البرية، والسكك الحديدية، والخطوط الجوية، لكن روسيا الأوربية وسيبريا الشرقية تشكلان مسرحين مستقلين للعمليات ومتباعدين جداً عن بعضها؛ وان مضاعفة طريق عبر سيبريا، ليس سوى ملطفاً بسيطاً لهذه المشكلة، كها يبقى الطريق البحري من الشيال طويل وصعب على الرغم من الامكانيات التقنية الجديدة التي تساعد على تحريره من الجليد.

والواقع أن هذين المسرحين منفصلين عملياً اكثر من انفصال أوربا الغربية عن اصريكا مشلاً، ومع ذلك فإن سيبريا والمنفذ الى المحيط الهادي تزداد اهميتها يوماً بعد يوم بالنسبة للاتحاد السوفياتي من الناحيتين الستر اتيجية والاقتصادية، بينها يتصاعد التهديد الصيني لهذين المرفقين الجنوبيين طمعاً بالتوغل نحو الشهال عما يعرضهما للانفصال عن روسيا الاوربية، ويسرتب هذا الوضع على الاتحاد السوفياتي مسؤ ولية كبرى تضطره للاحتفاظ بمجموعتين مستقلتين من القوات بشكل دائم احداهما في اوربا والأخرى في آسيا، كها يدفعه ذلك الحرص على عدم المخاطرة بحرب مزدوجة في الشرق والغرب في آن واحد، والتصلب في تنفيذ المفاهيم الستراتيجية التي تحتمل أي بادرة للتخاذل من قبل حلفائه.

والصين أيضاً بلد ضخم ومتهاسك، وهي تسعى لخلق دول تابعة لما لتقيم

حولها حزاماً وقائياً ومقفزاً ستراتيجياً عن اللزوم. وهي تتنافس مع السوفييت بفرض الاشراف العسكري والسياسي على كوريا والهند الصينية (١٠). ولكن الصين تتميز عن الاتحاد السوفياتي بامتلاك شواطىء طويلة ومفتوحة على المحيط الهادي، وهي غنية بالموانىء الممتازة ومصبات الانهار الصالحة للملاحة، غير أنها لا تزال فقيرة جداً، وضعيفة صناعياً.

وتملك الصين قوة بشرية هائلة تقدر بثمانهائة مليون أسمة تقريباً، كما أنها استطاعت في السنوات الأخيرة انتاج القنابل الذرية والهيدروجينية وتبذل جهوداً فعالمة لانتاج وسائل حمل هذه القنابل كالصواريخ المتوسطة والطويلة المدى والطائرات الثقيلة، وسوف تحصل على هذه الوسائل في المستقبل القريب أو ومن الصعب جداً التنبؤ بالاستخدام الستر اتيجي الذي تريد تطبيقه بقوتها الجديدة في زمن السلم كوسيلة للضغط السياسي وفي زمن الحرب الحقيقية.

واذا كان التطور الممكن للنزاع الصيني ـ السوفييتي ومضاعفاته لا يزال عامضاً، فإن الملاحظة الموضوعية للوضع الراهن في الشرق الأقصى يشير الى بعض المدلائل الملموسة. فنحن نرى كيف أن الولايات المتحدة الامريكية تبذل اقصى الجهود من أجل «احتواء التوسع الشيوعي» وتطويق الصين بجهاز دفاعي يمتد من بورما الى كوريا الجنوبية.

وتشكل بالمساعدات السياسية والاقتصادية لدول هذه المنطقة، السلاح الدائم الذي يعزز عند اللزوم بالتدخل العسكري المباشركها حدث في كوريا

(المرب)

٨ ـ ازداد هذا التنافس منذ رحيل القوات الأمير يكية عن فيتنام وكمبوديا، ويتجسد بشكل واضح
 في النزاع الأخير بين فيتنام وكمبوديا وفي هجرة الأقليات الصينية من فيتنام.

^(*) تجاوز عدد سكان الصين المليار نسمة في يناير عام ١٩٨٨.

٩ ـ تواترت المعلومات عن انتباج الصين للصواريخ المتوسطة المدى والتي تصل إلى مسافات
 تتراوح بين ٣٠٠٠ كم إلى ٧٠٠٠ كم.

والهند الصينية (١٠) والحقيقة أن الوسيلة الوحيدة التي تضمن لامريكا تحقيق هذا الهدف هي السيطرة على المحيط الهادي . والعكس صحيح أي انه ما من وسيلة تحول بين امريكا وبين استمرار سيادتها على المنطقة سوى القوة البحرية المعادية التي تنتزع منها السيادة على هذا المحيط.

ولا يستبعد ان تفكر الصين بالوصول الى هذا الهدف على المدى البعيد، غير أنه من الاسهل والاسرع ببل قد يكون من الأفضل له الحصول على الاسلحة النووية بدلاً من محاولة انشاء اسطول بحري في مستوى اساطيل الدولتين العملاقتين.

ولقد اظهرت الحرب الفيتنامية الأخيرة مدى اهمية السيطرة على البحار المحيطة بالكتلة القارية. فالواقع أن تموين شهال الفيتنام يكاد يمحصر في «ميناءها يفونغ» وليس عبر حدودها الطويلة مع الصين. وقد انثبتت احداث الحرب صحة ذلك. كما اثبتت بنفس الوقت صعوبة تنفيذ فكرة تدمير هذا المرفأ تدميراً كاملاً رغم ان ذلك كان دائماً في حدود امكانيات الطيران الامريكي: والسبب الرئيسي هو الخوف من اندلاع حرب عالمية شاملة لأن الاتحاد السوفياتي والصين لايمكن أن تقبلا حالة التوقف الكامل والنهائي لمساعداتها لفيتنام. . . وهكذا بقي «ميناء

١٠ لقد طرأ بعض التعديل على ستراتيجة امريكا في هذه المنطقة وخاصة بعد اضطرار امريكا
 للانسحاب من الهند الصينية. وقرار الكونغرس الاميركي بعدم السماح لرئيس الولايات المتحدة
 بارسال القرات المسلحة للقتال في الخارج. واعتباد المبدأ الذي اطلق عليه اسم «الفتنمة» أي
 الاعتباد على الجيوش المحلية لمحاربة الأنظمة الثورية.

هذا بالإضافة إلى ان امريكا قطعت شوطاً كبيراً في تحسن علاقاتها مع الصين، منذ زيارة الرئيس نيكسون لبكين عام ١٩٧٤ حتى الآن.

كما عدلت اتفاقياتها الدفاعية مع اليابان بشكل يسمح لهذه الأخيرة للمساهمة بشكل فعال للموقياتي، واحتواء الخطر الصين في جنوب شرق آسيا.

هايف ونسخ « مذبحاً مقدساً طوال حرب فيتنام يحميه هذا التهديد باعتباره الرئة الوحيدة التي تتنفس منها منطقة تونكين.

٣ ـ الأحزمة المحيطية

يمكن تمييز ثلاثة «احزمة تحيط بالكتلة الاوراسية» وتستقل عن امريكا من الناحية الطبيعية:

آ ـ الحزام شبه الجزيري: ويتكون من مجموعة «أشباه الجزر» تتصل في الغرب مع شبه الجزيرة الأم التي هي اوربا الغربية في أقصى اوراسيا ـ وتشتمل في أوربا على شبه جزيرة اسكندينافيا ، وإيطاليا ، واسبانيا ، واليونان ، بالاضافة الى اشباه جزر اخرى صغيرة مثل الدانمراك والكونتانتان (۱۱) ، ومن ثم تأتي شبه جزيرة تركيا والشرق الأوسط (۱۱) ويشكلان همزة وصل بين القارات الثلاث .

أما في آسيا فهناك شبه الجزيرة الهندية، وشبه جزيرة ماليزيا والهند الصينية وكوريا.

وجميع هذه الأشباه الجزر منفصله عن القارة بحواجز طبيعية ، ولكن البحر يصل بينها أكثر من اليابسة . وهي عبارة عن «رؤ وس جسور» نحو الكتلة القارية ، كما أنها بالنسبة للقارة «مقافز» باتجاه العالم الخارجي .

فشبه الجزيرة الايطالية وشبه جزيرة الكونتانتان كانتا رأسا جسر للحلفاء في الحمرب العمالية الثانية. بينها حاول الاتحاد السوفياتي «القفز» للخارج عن طريق شبه الجزيرة اليونانية أولا تم عن طريق شبه جزيرة كوريا وأخيراً عن طريق شبه جزيرة الهند الصينية.

إن هذا الحزام يبدو للناظر الى خريطة الكرة الأرضية كأكليل من الورد يزين الكتلة الاوراسية ولكنه بنفس الوقت شديد الحساسية بسبب ما يدور حوله من

Le Cotentin _ 11 هي شبه جزيرة بريتانيا الفرنسية التي تقع بين مصب نهر السين في الشمال ومصب اللوار في الجنوب.

١٢ ـ شبه الجزيرة العربية.

منازعات، وان قوت تكمن في تكامله وتماسكه وان أي تمزق في اطرافه يشكل تهديداً لصلابة المجموع. والمثال على ذلك هو ان كل ما يجري في الشرق الأقصى لا يمكن أن يطمئن اوربًا ولايمكن أن تنظر إليه بعدم المبالاة.

ب-حزام الجنزر الداخلية: ويشتمل على جزر كبيرة تحيط بالقارة مثل: سبيتسبرغ، وايسلندا وبريطانيا، وشهال غربي افريقيا (التي تعتبر بمثابة جزيرة من النتاحية الستر اتيجية لأنها مفصولة عن الكتلة الافريقية بواسطة الصحراء الكبرى)، وكريت وقبرص وسيلان وانسولاند والفيلين، وفورموزا واليابان والاليوتين.

وهذا الحزام يعزز الحزام الأول ويكرر بميزاته ويزيدها: فانفصاله عن القارة ييشكل مخرجاً شديد الصعوبة بالنسبة للكتلة الداخلية التي لا تستطيع ان تضع قدمها عليه الا بعمليات جوية - بحرية، لا يمكن مباشرتها الا بعد احتلال اجزاء من الحزام الأول، والحصول على التفوق الجوي فوق البحر محلياً على الأقل، وهذا ما ينطبق بالضبط على الماساة الهتلرية.

وتعتبر هذه الجنزر في البنداية اهدافاً جوية أيام الحرب الساخنة، وإهدافاً للحرب النفسية زمن السلم.

جدد حزام الجور الخوارجي: وهويشكل مع القورة الامريكية «مؤخرات العالم الحر». فالجورية التي تتكون عملياً من «الدول البيضاء» (١٠٠٠). في افريقيا الجنوبية ومدغسكر والارخبيلات المجاورة لها، واستراليا وكاليدونيا الجديدة، وزيلندا الجديدة، وارخبيلات اوقيانوسيا وأخيراً جزر المحيط الهادي حتى هاواي، كلها تشكل مواقع امامية.

ولهـذا الحزام أهميـة ستراتيجيـة خاصـة ابـرزتها حرب الباسيفيك بين عم ١٩٤٧ و١٩٤٥. وقـد ازدادت أهميتهـا لسببـين: الأول هو التقـدم السريع الذي

١٣ ـ يطلق المؤلف على الدولتين العنصريتين، جنوب افريقيا وروديسيا اسم «الجزيرة البيضاء»
 ويهذا يعبر عن مدى اهمية هاتين الدولتين بالنسبة لستراتيجية الغرب.

احرزه الطيران بما يستلزم اقامة قواعد جوية بعيدة. والثاني لأن بعض «النقاط المفتاحية» من الناحية الستر اتيجية مثل عدن، وترينكولمالي Trincolmalie وسنغافورة الخ. . اصبحت اليوم مهددة مباشرة بل ان بعضها خرج فعلاً عن سيطرة الغرب بعد أن كانت لزمن طويل تحت نفوذه . وهكذا اظهرت الاحداث الراهنة اهمية جزر المحيط الهادي التي كانت حتى الآن مهملة بل ومجهولة .

٣ _ المنطقة الأطلسية:

تبرز اوربسا الغربية على لوحة المنطقة الأطلسية في المقام الأول، وبذلك تكون «القطعة الرئيسية» التي تستحق انتباها خاصاً.

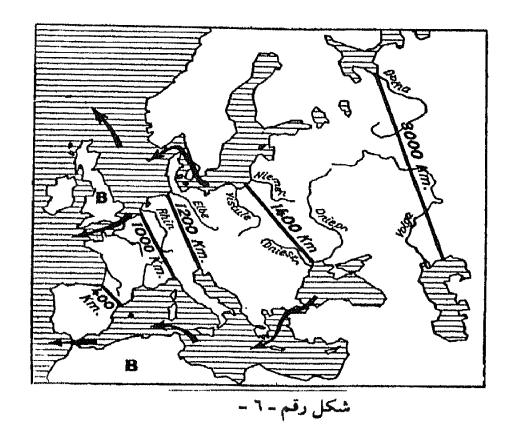
وقد قيل في الماضي أن أوربا تمثل «الرأس الصغير لآسيا» وكما قلنا نحن بأنها تشكل «شبه جزيرة أوراسيا» التي يتصل بها عدد من اشباه الجزر الثانوية. ويبين التاريخ ان محورها من الشرق الى الغرب كان طريقاً لحركات الغزو الكبرى في الاتجاهين، أما الهجهات الواسعة في الحروب الحديثة فكانت السهول الشهالة الواسعة طريقها التقليدي. ومع ذلك فقد اجتاحت اوربا غزوات هامة سالكة طرقاً عرضانية، فالفايكنج (١١٠)، اجتاحوا القارة من الشهال الى الجنوب حتى بيزنطة، كما استخدم النورمان الانهار العرضانية في فتوحاتهم، أما العرب فقد اجتازوا المخاضتين الهائلتين في البوسفور وجبل طارق واتجهوا نحو الشهال.

واليوم تجد أوربا نفسها من جديد تحت هذه الشروط حيث لم يعد الصراع داخلياً ولم تعد هذه القارة سوى احد ميادين هذ الصراع.

وشبه جزيرة اوربا تتقلص من حيث المسافة طبقاً لخمسة «برازخ» تكاد تكون متوازية، شمال ـ شرق أو شمال ـ غرب ـ جنوب ـ شرق، وهذه البرازخ هي :

(انظر الشكل .. رقم ٦ ..)

[¥] ا ـ Vikin هم سكان بلاد الشيال الاسكندنافية.



_ برزخ اركانجلسك _ استراكان وعرضه ٢٠٠٠ كم وينطبق على حدود روسيا الأوربية.

_ برزخ كوتسبرغ _ أوديسا وعرضه ١٤٠٠ كم ويشكل تقريباً الحد الغربي لروسيا.

_ برزخ لوبیك _ ترسینا وعرضه ۱۲۰۰ كم وینطبق على خط «الستار الحدیدي».

ـ برزخ تفرس ـ جنوا، عرضه ١٠٠٠ كم.

واخيراً برزخ بايون ـ بورقاندر، وعرضه ٢٠٠ كم، وتغطيه جبال البيرينيه التي تفصل اسبانيا وفرنسا.

وكل واحد من هذه البرازخ يتضاعف بشكل غريب بسلسلة من طرق

العبور أو المواصلات الطبيعية التي تشتمل على الاودية والفوهات والطرق المائية التي لا تكاد تنفصل الواحدة منها عن الأخرى. وفرنسا نفسها يمكن اعتبارها برزخاً عريضاً بين البوش دورون وخليج السين، وكثيراً من عميزات تاريخها يمكن تفسير، على هذا الأساس، ومن هاتين النهايتين انطلقت الجيوش الحليفة بعد الانزال في النورماندي والبر وقانس (جنوب فرنسا) وصعدت مع الوديان لتتلاقى في منتصف الطريق. وهذا المثال يكفي لاظهار الدور الستر اتيجي الذي يمكن أن تلعبه البرازخ.

ومن الملاحظ ان جميع الانهر الاوربية الكبرى تجري بشكل عرضاني، باستثناء نهري البو والدانوب ولهذا كان ينظر إليها لفترة طويلة كحواجز استراتيجية ولكنها لم تؤد هذه المهمة الانادراً. غير أن وسائل العبور الحديثة استبعدت هذا المدور أكثر من أي وقت مضى بواسطة طرق المواصلات والوديان التي تسهل التقدم، والطرق الملاحية بشكل أقل.

والكتل الجبلية تحتل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة بشكل خاص، وهي عبارة عن حواجز طبيعية اقليمية يجب الالتفاف حولها، خاصة تلك التي تشكل مناطق عمليات ثابتة حيث تصبح الاسلحة الحديثة أقل فعالية، وحيث تستعيد الاسلحة الكلاسيكية. مكانتها بجدارة.

ويمكن للستر اتيجية ان تشكل من الكتل الجبلية جزيرات مقاومة وتقيم فيها مصائد ضخمة للدبابات، لايمكن للعدو التغلب عليها الا بجهود جبارة. كما يمكن استخدام الجبال كرؤ وس جسور تمون من الجو.

والاحزمة «الجزيرية، وشبه الجزيرية، تؤمن حول اوربا امكانيات ستراتيجية رائعة، أكان ذلك بالنسبة لمواقع العناصر المختلفة أم بتكوينها الطبيعي والاقتصادي، وهي تؤمن من الشهال والجنوب هيئات متناظرة تستحق الذكر.

أما البحران المداخليان (البلطيك والأسود) فتغلق احداما شبه الجزيرة السكندنافية وتغلق الأخر شبه جزيرة آسيا الوسطى . وتتشكل كلتاهما من كتل جبلية قاسية تنتهى بنوع من المضائق: البوسفور والدردنيل من جهة ، والسوند

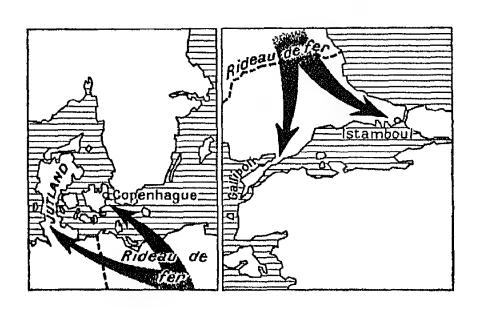
Sund والبيليت Belt من الجهة الأخرى حول الجنر الدانهاركية. وتشرف هذه المضائق على الملاحة بل ويمكن ان تمنعها عن طريق اخذها من الخلف وباحتلال المرتفعات الجبلية الخارجية. ويمكن احتلال شبه جزيرة جوتلاند وشبه جزيرة غاليبولي بواسطة العمليات المحمولة جواً، ويزيد في سهولة هذه العمليات قربها من القواعد الجوية القريبة من الحدود. ويسمح البحر البلطيكي والبحر الأسود للكتلة السوفياتية بتنظيم طرق بحرية عرضانية على طول شواطئهها، وهي اكثر فائدة من الطرق البرية الفقيرة والمعرضة للتهديد في هذه المناطق. وإن خسارة المضائق ستعني اذن حرية انطلاق الاساطيل السوفياتية للمحيطات وامتداد هذه الطرق العرضانية لدعم التعرض البري نحو فرنسا (اي باتجاه اوربا الغربية).

وفي النسق الشاني هناك قلعتان متناظرتان تلعبان نفس الدور الذي تلعبه شبه جزيرة اسكندنيافيا وشبه جزيرة آسيا الوسه في، وهاتان القلعتان هما: الجزر البريطانية وكتلة المغرب العربي (شيال غرب افريقيا)، وهما تشرفان على مجموعة ثانية من المضائق مثل جبل طارق، والبادوكالية، وإلى الشيال، المرات المحيطة بايسلندا (حيث يمكن للمناخ الردىء والجليد والألغام البحرية تحويلها الى مضائق حقيقية).

وهما بالاضافة الى ذلك تشكلان حاملات طائرات عملاقة ومراكز للحشد وعطات تناوبية للتموين والشؤون الادارية. . الخ. .

وسوف نكتفي بالاشارة الى اشباه الجزر والجزر الثانوية التي تبين مما سبق اهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في الصراع العالمي: فقد سبق وذكرنا دوركل من شبه جزيرة ايطاليا والكوتانتان، ويمكن الآن أن نضيف اليها شبه جزيرة اليونان حيث استطاع الألمان في الحرب العالمية الثانية أن يهددوا منها قنال السويس، أما الجزر المجاورة للقارة مثل جزيرة غوتلاند وبورنهولم في بحر البلطيك، وجزر البحر الأبيض المتوسط. فينقصها البعد والمساحة في اطار الستر اتيجية النووية العامة، وفي هذه الحالة يمكن أن تحل محلها جزر الحزام الداخلي.

وتحتفظ هذه الجزر بكامل أهميتها في اطار الستراتيجية الاقليمية التي تطبق



شكل رقم - ٧ -التشابه بين المضائق الشالية والمضائق الجنوبية

في حالات الحرب المحدودة وحتى في حالة الحرب الشاملة عندما تكون تكاليف الصدمة الأولى عالية لدرجة خيالية يضطر معها الاطراف المتنازعة الى الاقتصاد بالاسلحة الحديثة، واللجوء إلى الحرب الكلاسيكية. وعندئذ سيعود للبحر الأبيض المتوسط اهميته ودوره التقليدي اللذي يعزز دور البحار الداخلية بطرق المواصلات الكبرى والقصيرة التي تؤدي الى الشرق الأوسط والشرق الأقصى. وهناك عامل جغرافي هام يتكون من «مراكز القوى» الاقتصادية والستر اتيجية التي تعتبر بدورها اهدافاً رئيسية للستر اتيجية. ومن هذه المراكز: المناطق الزراعية في أوربا، وبعض المناطق التي جعلتها المناطق التي جعلتها

عميزاتها الطبيعية في مصاف ميادين المعركة التقليدية، ولا بد بهذه المناسبة من الاشارة الى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص باعتبارها نقطة اتصال من ثلاث قارات ومستودع للبتر ول ومفتاح اساسي للحروب الطويلة.

إن هذا الاستعراض السريع للجوانب الجغرافية الستراتيجية لمنطقة

الأطلسي، وبشكل خاص لأوربا، لا يسمح الا بتحديد بعض العناصر التي تتحكم مع غيرها بالستراتيجية. وكله على كل حال يكفي لاستنتاج خلاصتين عامتين:

- الاولى: هي عندما تجري الحرب على الأراضي الاوربية بين القوة القارية والقوة البحرية. في هذه الحالة تكون المناورات على الاجنحة مفيدة للطرفين. فالقوة البحرية لايمكن ان تنهي اندفاعاتها الأولى الا بعد الالتفاف من الشال عبر اسكندنيافيا حتى انكلترا، ومن الجنوب عبر البحر الابيض المتوسط حتى المغرب.

أما القوة البحرية فلا يمكن أن تقضي على خصمها الذي يتمتع بعمق لامتناه عملياً، الا بمهاجمة اجنحته بعمليات قصيرة، وباحجام أقل من عمليات التعرض المركزي الضخمة التي برهن التاريخ بأن طلائعها الامامية البعيدة غالباً ما تفقد حيويتها وتمتصها الفيافي الشاسعة كها تمتص آخر موجات من تيارات الرمال(۱۰).

والشانية: هي ان تنظيم الجيوش الحديشة وتسليحها يجب أن يتلاءم مع الظروف القائمة أو المحتملة. وفيها عدا القوات المجهزة تجهيزاً قوياً بالاسلحة الحديثة والتي تقتصر مهمتها على الدفاع خلال الصدمة الأولية للحرب، فإن بقية القوات فيجب أن تكون «قوات برمائية». بالمعنى الحرفي للكلمة وهذا يعني أنه يجب أن تكون قادرة على العيش والقتال في الجسووتحت الماء، وفوق البحار واليابسة. لأنه سيكون بإمكانها الانتقال جواً وبحراً للعمل على الاجنحة وفي بدايات البرازخ، وتحت «زعانف» اوربا وبطنها المترهل.

٥١ ــ ومن الأمثلة على هذه العمليات، حملة نابليون بونابرت التي وصلت إلى موسكو واضطرت للتراجع تجرجر اذيال الخيبة في بداية القرن التاسع عشر وكسرت شوكة الجيش الذي لم يعرف الهزيمة قبل ذلك. ثم حملة هتلر في منتصف هذا القرن.

٤ ـ منطقة المحيط الهادي

تشمل دراسة هذه المنطقة على الأراضي البعيدة جداً مثل ماداغشقر لأن المحموعها يشكل وحدة متكاملة ، كما تضطرنا للاكتفاء بالدراسة الموجزة لأسيا وضواحيها حيث توجد المناطق الحيوية الحالية . ونسارع فنشير الى أن الصين _ كما سبق وقلنا _ ذات طبيعة قارية ، ويكفي الاطلاع على آراء الرئيس ماوتسي تونغ الستر اتيجية للاقتناع بهذه الحقيقة . واذا كانت البلدان الأسيوية الكبرى _ باستثناء اليابان _ قد حافظت على هذه الميزة ، فيها ذلك إلا لأن امكانياتها البحرية وسائلها القديمة خلال فترة طويلة من الزمن ضمن اطار النشاط الحرفي ، رغم غزارتها الهائلة .

كما تجدر الاشبارة الى أن الحضبارة الغيربية، أو على الأقبل تقنيبات هذه الحضارة، دخلت آسيا عن طريق البحار وجعلت من اليابان، البلد الديناميكي، قوة بحرية من الدرجة الأولى. وهيأت للبلدان الأخرى الفرصة للسير على منوالها لتصبح قوى ذات شأن ايضاً.

ولا نرى ضرورة للالحساح على دور الأحزمة المحبطية، لأنه يشبه دور مثيلاتها في المنطقة الأطلسية. ويكفي القاء نظرة على خريطة آسيا لنرى أشباه الجسزر والجنزر التي تشرف على الطرق البحرية وممرات لمضائق. غير أنه من المستحسن الاشارة الى استمرارية الارخبيلات التي تتنابع لتشكل نوعا من الرصيف الممتد من جزر عدمان ADAMAN في خليج البنغال، حتى جزر الكوريل التي تلامس شبه جزيرة كامنشاكا السوفياتية.

وتعتبر اليابان نفسها جزءاً من هذا الرصيف أو المكسر الحاجز، وهوفي نظرها «السور العظيم» الذي كانت تنوي بسط هيمنتها في داخله وتحقق ماكانت تسميه بـ«آسيا الكبرى».

وتقسم القبارة الآسيوية الى قسمين بواسطة سلسلة جبال هيهالايا الهائلة ، والتي تكملها في الغرب «جبال سليهان» الواقعة في باكستان الغربية . وعلى امتداد هذه الاستطالات الجبلية توجد بعض «المعابر الكبرى» مثل الهندوس . والميكونع .



شكل رقم - ٨ -حاجز جبال هيهالايا وأقفاله (أو منافذه)

وهذه المنطقة المسورة تضم في داخلها آسيا الجنوبية الثمينة، والتي تتألف من: الهند، وبورما (وبنغلادش أو الباكستان الجنوبية سابقاً). وماليزيا، وسيام والهند الصينية بالاضافة الى اندونيسيا والفيليبين. والى الشهال والشرق من جبال الهيهالايا تقع البلاد الشيوعية (١٠٠٠). المعروفة بمناخها القاسي وشعوبها القوية الشكيمة. التي تتطلع دائماً للغزو، وتمتد هذه المنطقة حتى المقاطعات البحرية الصينية التي تحجزها الجبال من جهة وعجزها البحري من الجهة الثانية. غير أنها تملك عرين هامين احدهما باتجاه نهر الهندوس وتشرف عليه الباكستان (ومن هنا تعبر زأهمية المعاهدة المركزية التي تربط الباكستان ببقية العالم الحرعن طريق تركيا وايران وانكلترا). والأخر الى الشرق باتجاه نهر عمر الميكونغ الذي يمكن بلوغه بالالتفاف حول جبال آنام من الجنوب باتجاه سايغون بواسطة الطريق شمال تونكين ولاووس العليا التي يشرف عليه موقع «ديان. . بييان. . فوه (١٧٠).

17 - بعد انسحاب القوات الامير يكية من شبه جزيرة الهند الصينية اصبحت هذه المنظمة الشيوعية تمتد إلى جنوبي جبال هيهالايا.

(المعرب) ١٧ ـ تظهر هذه الدراسة الأهيمة الستر اتيجية لموقع ديان بيان فور والمعركة التي دارت فيه بين القوات الفرنسية وقوات فيتنام الشهالية عام ١٩٥٤ وانتهت بانتصار الفيتناميين واستسلام الحاجة الفرنسية واصبح الطريق إلى جنوب شبه جزيرة الهند الصينية مفتوحاً.

(المعرب)

ولعل من ابرز معالم السياسة الدولية في السنوات الأحيرة، هي أن الاهداف الجغرافية السياسية في هذه المناطق أصبحت موضوع ستراتيجية السلم التي تهدف السيطرة السياسية على جنوبي شرقي آسيا عن طريق تشجيع الروح القومية واثارة الكراهية للاجانب، بل وعن طريق اثارة الحروب الثورية الاقليمية التي كان من أهمها حرب كوريا وحرب فيتنام.

وسيكون الامركذلك في حالة نشوب حرب عالمية شاملة: فاليابان لايمكن الا ان تنحاز إلى احدى الكتلتين والا فستعرض نفسها للاحتلال بعمليات جوية. بانتظار الفترة التي ستكون فيها القوة البحرية ـ السوفياتية أو الصينية قادرة على فرض سيطرتها على المحيط الهادى.

أما آسيا الجنوبية: فيمكن أن تسيطر عليها الهند الصينية سياسياً وعسكرياً اذا لم تسبقها الى ذلك الباكستان. (بالتعاون مع الحلف المركزي). هذا مع العلم بأن هذه المنطقة. مرتبطة بالعمليات التي ستجري في منطقة الشرق الأوسط الذي الشرف الى أهميته الستر اتيجية البالغة عند الحديث عن المنطقة الاطلسية (أي الغرب).

وبعد ذلك يأتى دور اندونيسيا والفيليبين.

ولا مجال في هذه المدراسة لتعريض الستراتيجية الدفاعية التي يجب على العالم الغربي وضعها لاحباط الاهداف التوسعية للكتلة الشيوعية في زمن السلم وفي زمن الحرب. فهذه الستراتيجية تمليها اعتبارات جغرافية سياسية، كما يمليها الترابط العضوي للاحداث من أقصى اطراف الكرة الأرضية الى ادناها، ويجب أن تقوم على الانسجام التام الذي كانت تفتقر له دائماً.

٥ ـ منطقة المحيط المتجمد الشيالي

لقد اعطت الوسائل الحديثة لهذه المنطقة من العالم أهمية كانت خيالية في الماضي . وبهذا فإن الواقع الراهن يقضي باعطائها مكانها في هذا البحث يتناسب مع الأهمية الجديدة التي اكتسبها . والخريطة الستراتيجية (المنشورة على ص ١٧٣

تظهر على جوانب هذه المنطقة القطبية اجزاء من امريكا الشهالية ومن اوراسيا بما لم يكن له أية قيمة في الماضي عندما كان القطب الشهالي منطقة يستحيل اختراقها عملياً؛ كها كانت المناطق المحيطة به غير صالحة للاستثهار، غير أن ذلك لم يعد وارداً في هذه الأيام.

فالطائرات تحلق يومياً فوق المناطق القطبية وتقطعها بخطوط مستقيمة ، كما أمكن إقامة قواعد جوية في آلاسكا ، وغروثتلاند ، وسيبيريا ، وهي تعمل بشكل طبيعي كمطارات ومهابط ستراتيجية . كما ظهر أن هذه المناطق تخفي في باطنها خزانات هائلة من المعادن المتنوعة والبتر ول وقد بوشر باستثمار بعضها فعلياً واقيمت فيها بعض المنشآت الصناعية الهامة .

ومنطقة القطب الشمالي تشكل بحراً يغطيه الجاليد تغطية كاملة، ولكن جليده قليل السماكة ومياهه على العكس عميقة جداً، بما يسمح للغواصات النووية التي تستطيع الغطس لفترات طويلة، بأن تمخر تحت الجليد وان تخترقه كلماارادت لتطفو فوق سطح البحر في المكان والزمان الذي تريده، ولذلك يصعب كشفها وبالتالي تصعب اصابتها عملياً، بينما يكون باستطاعتها اطلاق قذائفها ذات الرؤ وس النووية الى مسافات تزيد عن ٣٠٠٠ كم كها تفعل في المياه الحرة. وأن نظرة عاجلة للخرائط تكفي للملاحظة بأن منطقة المحيط المتجمد الشهالي. تسمح بالاقتراب من السواحل السوفياتية وبالتالي اصابة اهداف أكثر بعداً داخل القارة.

وأخسيراً لا بد من ذكسر الطريق البحرية للقطب الشمالي الذي يحاذي الشوفياتي السوفياتي السوفياتي السوفياتي خاصة مع تطور الوسائل الحديثة التي تساعد على تعزيل الجليد في الشتاء وخاصة منها كاسحات الجليد النووية.

الفصل السابع

عناصر ستراتيجية المستقبل

«الستراتيجية هي فن اختيار نقاط تطبيق القوة»

لينين

إن الجغرافية _ الستراتيجية المستندة على الجغرافيا _ السياسية ، ليست بالطبع سوى عنصر من عناصر الستراتيجية العامة .

والحسرب ليست اطلاقاً من شأن العسكريسين وحدهم. والقرارات الستراتيجية هي دائماً من صلاحيات واختصاص السلطة السياسية.

وان الاستعداد للحرب شأنه كشأن تنفيذها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار تطور الأشياء والوسائل المتنوعة والتقدم في جميع الميادين كما يتطلب المعرفة الدقيقة للخصم المحتمل على جميع المستويات. ومع ذلك فإن تعريف لينين للستراتيجية يبقى صحيحاً لأنها تقدم المساعدات الثمينة على الصعيدين المادي والانساني.

١ ـ المعطيات الاساسية للستراتيجية: ان التنبؤ لايعني الاختراع بل يعني تصور النتيجة التي تقرن بها الاحداث في لحظة معينة من التطور والاتجاهات الجارية أو المتوقعة انطلاقاً من المعطيات القائمة.

وسنحاول اذن قبل كل شيء تلخيص النتائج السابقة فيها يلي: آ ـ المبادىء الستراتيجية تبقى صالحة، اما ما يتغير فهو الاساليب والتقنية ا والمعايير.

ب _ يبقى نفوذ العوامل الجغرافية الطبيعية على حاله. ولكن آثاره يمكن ان تتبدل بتبدل الوسائل الجديدة. أما بقية عوامل الجغرافيا - السياسية فتزداد اهميتها يوماً بعد يوم .

جــما من بلد يستطيع التطور الآن بالاعتباد على نفسه فقط، وما من بلد يستطيع الدفاع عن نفسه منفرداً، ولذا فقد اصبحت «التجمعات الدولية» ضرورية في السلم كما في الحرب.

د ـ ان الحياة والدفاع مرتبطان مباشرة بحرية الحركة أي بطرق المواصلات والنقل الداخلي والخارجي .

ه _ وقد اصبح للستراتيجية في هذه الأيام ثلاثة أشكال هي :

الستراتيجية الوطنية، ستراتيجية الاحلاف، والستراتيجية الكونية. والشكلان الاولان يمكن ان يكون بينها بعض التعارض ولذلك فإن القوة الخاصة لبلد ما في أي من الاحلاف، تكون في حدود امكانياتها الذاتية.

و ليس هناك «حماية مطلقة» ضد هجوم نوؤي شامل قد تتعرض له بلد ما بشكل مفاجىء وخاطف. ولهذا يمكن «للقوة الرادعة» ان تلعب دوراً فعالاً ، ولكنها لا يمكن ان تمنع «الحروب المحلية» اذا لم نقل بانها تشجعها.

لم يعد للحروب نهاية واضحة تليها مباشرة معاهدة صلح يحترمها الجميع الا في حالات نادرة جداً، وغالباً ما تتبعها الحروب الأهلية والمقاومة بأنواعها، التي ترفع رايمة المبادىء الايمديولوجية فتفتح المجال لانفجار الحرب من جديد أو استمرارها بشكل جديد، ولهذا أصبح من العسير جداً «كسب معركة السلاح».

Y _ اسباب الحروب Casus Belli Y

والاعداء المحتملون: ان احتلال الاراضي أوطرد الخصم منها واحتلالها من جديد بغرض ضمها نهائياً. كان لمدة طويلة الهدف الطبيعي للحروب، وكان

بالتالي السبب الرئيسي لهذه الحروب، وهذا ما يحدث بالفعل في الأيام الحاضرة بين البلدان الحديثة الاستقلال؛ المشاكل مشابهة لتلك الاوضاع في البلدان القديمة. ولكن ذلك لايمكن ان يحدث الآن بين البلدان العسريقة المتطورة. لأن القوة الحقيقية أصبحت تبني على اسس اخسرى وتتدعم خارج الأراضي الوطنية، وخاصة بالاشراف على بلدان اقل قوة وأقل تطوراً. هذا بالاضافة الى ان الاسلحة النووية تشكل اليوم خطراً دائماً يهدد بالدمار الشامل، ويزداد خطرها بالنسبة للأمم الصناعية الكبرى.

واصبح «توازن الرعب» من الحقائق الراهنة المميزة لعصرنا الذي نعيش فيه. ولهذا السبب بالذات تضاءلت احتمالات نشوب الحرب الشاملة اللهم الا اذا فجرتها الصدف أو التطور العنيف غير المتوقع لاحدى الحروب الاقليمية، تلك الحروب الواسعة الانتشار في هذه الأيام، وليس من المتوقع زوالها على المدى القريب، لأن الهدف منها اسقاط بعض الخصوم أو وضعه تحت النفوذ المباشر.

ويجري هذا الصراع على الاشراف السياسي والاقتصادي والستراتيجي تحت رايتين ايديولوجيتين متناقضتين هما: الراية اللبرالية ـ والراية الماركسية .

وهكذا نرى أن الظروف التي يمربها العالم حالياً تنطوي على الكثير من المخاطر، لأن الدول العظمى تبحث عن «مواقع قوة» لتقف في مواجهة بعضها البعض في مناطق كثيرة في سطح الكرة الأرضية وخاصة في النقاط الحساسة مثل البحر الكاريبي والشرق الأوسط والبحر الابيض المتوسط، وجنوب شرقي آسيا. البخر ومن ناحية ثانية فإنها تجد نفسها مسوقة بارادتها أو بقوة الاشياء لدعم الاطراف المتنازعة وبذلك تطيل الحروب بوسائل ملاثمة للايديولوجيات (حرب العصابات من جهة، الحرب المضادة للعصابات من الجهة الأخرى).

وعلى هذا الاساس يؤكد الرئيس الراحل ماوتسي تونغ أنه وليس هناك سوى نوعان من الحروب هما الحرب الثورية والحرب المضادة للثورة».

و التعايش السلمي، هو خط سلوك سياسي معترف به حالياً، وخاصة من قبل الدولتين الاعظم في مواجهتهتا لبعضها البعض، ولكنه لايشكل الضهانة

اللازمة والكافية لالغاء الحروب العامة والثانوية بهائياً، ذلك أن الخوف النووي (او توازن السرعب) هو الذي فرض هذا التعايش، ولكنه لم يبرز أي مبدأ بناء للسلام يمكن أن تجتمع حوله البلدان في اطار متبادل من الثقة الكاملة، وهو على العكس يمكن أن يؤدي الى تقاسم النفوذ على العالم بين الكبيرين سراً أو علانية، الامر الذي سيكون بمثابة «تواطؤ» أو تفاهم تفرخه القوة وبالتالي فإنه سيكون موقتاً.

هذا بالاضافة الى ان الصين، وهي اليوم دولة عظمى، رفضت الاعتراف بهذا التعايش السلمي وبتساءل ما هي التضحيات والتنازلات التي يجب أن تخصص لها من أجل الموافقة عليه وعلى حساب من ستكون هذه التضحيات؟؟ واخرب أفإن «التعايش السلمي» لايمكن أن يحول دون وقوع الحروب الثانوية اذا لم يشجعها _ كما قلنا _ بسبب توازن الرعب النووي نفسه.

والحقيقة، لقد انقضى الزمن الذي كان يمكن فيه التنبؤ بشكل أكيد تقريباً، بالحروب المقبلة وبالاطراف التي ستشترك فيها عند نشوبها على الأقل. ذلك ان الأهداف التي تمعى اليها الدول ـ الكبرى خاصة ـ اصبحت واسعة ومعقدة وغير واضحة، وهذا يعني أنه يمكن اخفاؤ ها بسهولة. ونحن نعلم أنه من الممكن الوصول اليها غالباً دون اللجوء الى الحرب المكشوفة. وفيها عدا ذلك فإن «توازن القوى» يكون احياناً اكثر حساسية عما يبدو، وقد يتجاوز الاطار القومي (الاطار الوحيد المتهاسك)، كما يمكن للردة أو التهرب أن يصنفا الاحلاف، كما يمكن ان تتبدل «أوزان» الدول ضمن هذه الاحلاف حسب تطور قوتها الذاتية (وحيازتها على السلاح النووي مثلاً).

واخيراً فإن المشاكل الديمضرغرافية يمكن أن تقلب المعطيات وتتحدى التسويات المؤقتة القائمة.

ومن زاوية أخرى يجب أن نعترف بأن الأهداف العالمية للثورة الماركسية لم تكن مستنكرة اطلاقاً كما لايمكن أن تصبح مرفوضة في المستقبل ومع ذلك سيبقى التناقض الاساسي بين الكتلتين على حاله وبجميع مضاعفاته. وإن النزاع

الصيني - السوفياتي الذي يُقال عنه بأنه وعقائدي الكن التاريخ والحقائق المجغرافية السياية تذكرنا بأنه يرجع أيضاً لاسباب مختلفة ملموسة وهي بلاشك اكثر خطراً، ومع ذلك يصعب التأكيد بأن الايديولوجية المشتركة لم تعد قادرة بين الصين والاتحاد السوفياتي ولو لفترة محدودة ضد عدو مشترك.

واخيراً فإن «العالم الثالث» لا يشكل كياناً متهاسكاً ولا يمكن اعتباره «كتلة ثالثة» في التوازن العالمي، بل هو على الارجع معرض للانقسام والتمزق مع احتمال نشوب حروب داخلية بين بعض دوله.

٣- الشروط العامة: ان الاطار الجغرافي هو الاطار الخاص بالمناطق التي حددت في الجنزء السادس الا انه لابد من متابعة تجدد معلوماتنا عنها باستمرار وذلك بدراسة الأمكنة التي تتغير اهميتها والفائدة منها مع استمرار التقدم وان تستخلص النتائج والدروس من الاحداث التي تضع فيها بين الحين والآخر.

والواقع أن «القيمة الذاتية» للمناطق كلها يمكن ان تتبدل، فالاسكا اصبحت من المناطق الحيوية، والبحر الأحمر تضاءلت أهميته عندما فقد بعض قيمته كشريان عالمي (). كما فقدت بعض مناطق المناجم الأهمية التي كانت لها في الماضي. ومن ناحية اخرى هناك مناطق مفتاحية تفقد قيمتها بسبب الاحداث والحروب عندما تبدل ولاءها: وهذا شأن المغرب الذي كان لفترة طويلة بمثابة قلعة خارجية للأمن الاوربي.

وقد سبق أن أشرنا أيضاً في هذا الاطار الى «احجام» الدول الكبرى، وبالتالي اضطرار كل منها للحصول على امكانيات الضرب من مسافات كبيرة ـ وسواء أكانت الحروب نووية كليا أوجزئياً، أم كانت كلاسيكية ـ الامر الذي جعل

١ ـ صحيح أن اغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلي أثر على أهمية البحر الأحر موقعاً ولكنها ما لبشا أن استعادا مكانتها فور استنتناف الملاحة في القناة بل لقد أظهرت النزاعات في القرن الافريقي المكانة التي للبحر الاحر على مستوى الستراتيجية الكونية.

القوات الجوية والبحرية اساسية في هذه الحروب، على الرغم من أن القرار النهائي لابد وان يتجسد على الأرض.

وتندرج الحرب الحديثة ابتداءاً من الصواريخ النووية التي تقذف من قواعد ثابتة أو متحركة تحت الماء، أو من الغواصات المتحركة تحت الماء، أو من الطائرات المنطلقة من القواعد الأرضية أو من فوق حاملات الطائرات وتنتهى بطير ان النقل وسفن الانزال. وان انتشار هذه الوسائل واستخدامها يتطلبان نظرة جغرافية ستراتيجية كاملة للعالم على الرغم من أن الحرب النووية الشاملة حَدَّتُ من التوسع الطبيعى للعمليات الحربية.

وهذه النظرة يجب أن تبنى على المعرفة العميقة للعلوم والتقنيات كعلم الانواء، وعلم البحار وتطبيقات الكيمياء بأنواعها والالكتر ونيات . . الخ.

وان ابتعاد الدول الكبرى عن بعضها يعرض للخطر البلدان التي تفصل بينها وخاصة في اوربا علماً بان التدمير النووي لهذه البلدان الوسيطة لن يكون حاسماً بالنسبة للحرب الكونية الشاملة. التي تستلزم تبادل القصف النووي المباشر بين الدولتين العظميتين المتحاربتين، بينها يمكن وضع هذه البلدان بسرعة تحت الاشراف السياسي والاقتصادي وذلك بوضع الخصم امام الامر الواقع.

ولما كانت الأرض بحد ذاتها لم تعد هدفاً للحرب، بل أصبح الهدف الأساسي هو استشهار الموارد والوسائل التي أوجدها الانسان على هذه الارض، فمن الخطأ تدمير البلدان الوسيطة، وعلى هذا الاساس يمكن أن نفهم الخلفيات التي تحدو القوة القارية (اي الاتحاد السوفياتي) للاحتفاظ بقواته الكلاسيكية وتجديدها وتزويدها بالقوى الجوية والأليات التي تعطيها قدرة هائلة على الاختراق". كما يمكن ان تفهم المبر رات التي تدفع مجموعة الدول الوسيطة أي

٢ - في السنوات الأخيرة ظهرت دعوة جديدة في الدول الغربية ينادي بها الخبراء المسكريون،
 تنادي بضرورة تعزيز القوات الكلاسيكية بشكل يمكنها من الصمود في وجه الهجوم المحتمل
 المذي يمكن أن يشنه حلف وارسو على أوربا الغربية دون اللجوء الى استخدام الاسلحة

دول اوربا الغربية، لامتلاك القوة اللازمة لايقاف المهاجم في قفزته الأولى والاعتماد اساساً على الاسلحة النووية التكتيكية التي اصبح استخدامها مباشرة شيئاً حيوياً.

وأخيراً فإن هذه البلدان متضامنة الى حد بعيد لأن أي منها لاتملك الابعاد الضرورية من طبيعية وغيرها لكي توقف مثل هذا الهجوم ".

وبعد أن استعرضنا ما يتعلق بـ «الردع النووي الستراتيجي» لابد من اضافة ملاحظتين هامتين في هذا المجال:

الاولى، تتعلق بالمفاجأة الأولية: باعتبارها العنصر التقليدي للنجاح، لأنه لم يعد لها أي نصيب لكي تلعب نفس الدور في الماضي، وذلك لأن شبح الحرب النووية أصبح رهيباً الى درجة يبدو معها أن أية حكومة حتى ولوكانت دكتاتورية لا يمكن أن تقدم على شن هذه الحرب وتعرض حياة الملايين من الناس للابادة دون اللجوء الى اعداد نفسى شديد لايمكن اخفاءه.

والثانية: أن «قوة الردع» ستبقى دائماً فعالة بالنسبة للدول الكبرى البعيدة عن بعضها ولكنها أقل فعالية بالنسبة للبلدان المتوسطة خاصة عندما يصل العدو

النووية بها في ذلك الاسلحة النووية التكتيكية. وقد اجريت المناورات المتعددة في قلب أوربا وعلى غبياتها من الشهال والجنوب لاختبار قدرة قوات حلف الاطلسي الكلاسيكية على القيام بهذه المهمة: وتقرر على أساس هذه المناورات رفع ميزانيات الدفاع في دول الحلف ومضاعفة قواتها المدرصة والاسلحة المضادة للدوع. والطائرات بشكل خاص على ضوء الدوس التي استخلصت من حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣.

المعرب

٣ - يمكن تفسير الضبحة التي قامت في بدايسة عام ١٩٧٨ حول انتاج القنبلة النترونية ، كسلاح نووي تكتيكي . بعد أن علمت أصوات بعض الحبراء العسكريين في الغرب بالتحلير من عدم قدر القوات الكلاسيكية في خربي اوربا على وقف الهجوم المفاجىء المحتمل الذي يمكن أن بشنه حلف وارسو. (المعرب) .

بسرعة الى حدودها بعد ان يكون قد احتل دولة او دولتين غيرها، ويهذه الحالة يصبح استخدام «الردع الفردي» حلاً انتحارياً.

وهاتان الملاحظتان تظهران أيضاً ضرورة الوحدة الصادقة الوثيقة بين اعضاء الاحلاف، كما تظهران ايضا المخاطر المترتبة على «صيغة الرد المكيف» ضمن هذه الاحلاف⁽¹⁾.

اما حالة الصراع المحتمل بين الصين والاتحاد السوفياتي فتمتاز بصفات خاصة، لأن لهذين الدولتين حدوداً مشتركة، بالاضافة الى أن اتساع مسارح العمليات الآسيوية والمسافات الشاسعة في هذه القارة تشكل عقبات كأداء خاصة بالنسبة للسوفييت الذين سيكون عليهم في مثل هذه الحالة ان يفعلوا كل شيء لضهان الهدوء على الجبهة الغربية أو أن يفتشوا فيها على المساعدات. أما الصين فيبدو أنها أقل حساسية للتدميرات النووية.

ولكن بصرف النظر عن تسادل الضربات النووية فقد تنشب بين الطرفين معارك قارية غامضة ومتذبذبة، فالاتحاد السوفياتي يملك ورقة جدية رابحة بفضل مواقعه القوية على شواطىء المحيط الهادي يمكن منها تهديد العاصمة بكين والمناطق الصينية الحيوية. وهنا ايضاً تلعب القوى الجوية والبحرية دوراً هاماً حتى في هذه الحرب ذات الطابع القاري.

واخيراً فإنسا لا نستطيع في هذه اللحظة الموجزة توسيع بحثنا ليشمل الحالات المتعددة التي تترتب على حروب أقل أهمية ؛ ولكنه يبدولنا أنها ستجري بنفس هذه العقلية .

٢ _ تشابك الستراتيجيات الوطنية: رأينا كيف أن الدول تضطر في هذه

٤ - كان الجنرال ديفول أومن اعترض على «الستراتيجية النووية العامة» التي وضعها الخبراء المعسكريسون الامريكيسون. ومن ضمنها هذه العيفة التي سميت به «السرد المكيف Ruposteadaptée لأننا قد تترك اوربا الغربية تحت رحمة القصف النووي من الطرفين دون أن يصل ذلك إلى درجة تبادل القصف النووي المباشر بين موسكو وواشنطن. (المعرب).

الأيام للتجمع في زمن السلم كما في زمن الحرب، ولذلك فإن الستر اتيجية الوحيدة الفعالة هي ستر اتيجية الحلف التي تشكل وحدة متهاسكة حيث يلعب كل عضو دوره. وإن مصلحة الحلف هي بالطبع أن تكون كل دولة عضوة فيه قوية بقدر الامكان، ولكي يصل الى هذه النتيجة على أحسن وجه سيكون على كل بلدان يرضى ببعض «التخصص» الذي يتلاءم مع امكانيات وموقعه، وهذا يعني ضرورة «تكيف» تشكيل وتنظيم وتسليح قواتها بموجب هذا التخصيص. ومثل هذا التهاسك يستلزم تكاملاً شاملاً كما يستلزم حداً معيناً من التنازل عن السيادة الوطنية تتناسب مع هذا التكامل.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرحلة (أي التنازل عن السيادة الوطنية) لا تزال بعيدة عن التحقيق في الكتلة الغربية لأن الدول الحرة لا تتنازل عن استقلالها السياسي ولا عن المصالح والمسؤ وليات التي تعتبرها من اختصاصها وحدها، وبالتالي فإنها لا تقبل التنازل عن الوسائل التي تؤمن لها الدفاع عن مصالحها خارج الحلف.

ولذا نلاحظ أن الدول تحتفظ بقوتها العسكرية الوطنية وتجددها باستمرار طبقاً لمستلزمات المهات التي قد توكل إليها في الغرب أو في العالم الثالث وتسعى هذه البلدان لتكون اسلحتها الباهظة التكاليف قادرة على خدمة ستر اتيجيتها الوطنية وخدمة الحلف. ولكنه يندر أن تتطابق هذه المصالح وتلك بل وقد تتعارض أحياناً. وكثيراً ما يحدث ان الالتزامات الوطنية تثقل كاهل «مفهوم الحلف الستر اتيجي» لدرجة التأثير عليه. وأخيراً فإن عوامل الجغرافيا الستر اتيجية يمكن أن تتبدل أهميتها نسبياً حسب كل حالة على حدة وينتج عن ذلك مشاكل تقنية وسياسية جدية وعندها لا بد من تبنى الحلول الوسط لمواجهة كل وضع.

وان ضخامة وطابع المشاكل الستراتيجية الوطنية تختلف من بلد لآخر وتتنوع ايضاً حسب الجزء من المصالح الذي يتعرض للخطر في حرب ما فالقوى الاستعارية يجب ان يكون باستطاعتها التدخل في مناطق بعيدة ، لأن التحرر من الاستعار لم يلغ مسؤ ولياتها ، فلا تزال لها بعض الروابط والمصالح بأشكال مختلفة

في مستعمراتها السابقة، وهي لا تستطيع الاعتباد على الدعم والتسهيلات التي يمكن ان تقدمها لها هذه المستعمرات السابقة. وكذلك الامر بالنسبة للدولتين الكبيرتين فقد تجد أن نفسيها في وضع مشابه على أساس واقع قوتها ونفوذهما حتى ولولم يكن لها الا القليل من الممتلكات الخارجية، بل وقد لا يكون لها ممتلكات اطلاقاً بالمعنى المعروف في الماضي.

اما الخصومات التي لا بد منها فتترتب على المظهر المزدوج للحالات المهاثلة، وهي تستدعي إجراء دراسة خاصة وموضوعية للعوامل الجغرافية الستراتيجية لكي تستخدم بشكل مرن لا يستدعي استعالها من أجل الدفاع السوطني وحده وفي حدود البلد بالذات. وهذا يستدعي تشكيل قوة متحركة ومرنة وقوية قادرة على العمل بسرعة فائقة في أي مكان، وهذه هي «الجزية» التي لابد من أدائها كثمن «لادارة العظمة» على المستوى الكوني لكي تكون حقيقية ومستقلة عن كل ردع نووي.

ومن هذه اللزوميات والضرورات ينشؤ «مفهوم قوة التدخل» المؤهلة لعدة انواع من المهات في اطار الحلف وفي الاطار الوطني. كما يجب أن تكون متعددة الكفاءات وسريعة وشديدة المرونة في الاستخدام كما يجب أن تكون على استعداد دائم. ومن الطبيعي أن تكون قوة مختلطة من جميع صنوف الاسلحة وترتبط بقيادة موحدة: والاسطول السادس الامريكي يعتبر مثالاً نموذجياً لهذه القوة لأبه قادر على القيام بأدوار متعددة، فهو قوة نووية ضاربة من ناحية ، وقوة لحفظ الأمن (كما حدث في عام ١٩٥٨ عندما تدخل في لبنان) ، وقوة ضغط سياسية عسكرية (كما حدث أثناء حملة السويس عام ١٩٥٨).

وتحتفظ الولايات المتحدة الامريكية باستمرار بعدد من قوات التدخل هذه في المحيط الاطلسي، وفي المحيط الهادي ويسلك الاتحاد السوفياتي نفس هذا الطريق تدريجياً.

وأخيراً فإن فرنسا وانكلترا تحاولان اتباع نفس السياسة في حدود امكانيات كل منها ولن يطول الوقت حتى تلحق بهما الصين ايضاً.

ولكي تبقى في طار موضوعنا يمكن أن نستخلص ببساطة ضرورة اضافة هذه العناصر الجغرافية الستراتيجية المتغيرة التي تمتاز بها «قوات التدخل» الى العوامل الجغرافية السياسية الثابتة.

٣ ـ اراء ستراتيجية ممكنة: تتوقف كل المفاهيم الستراتيجية قبل كل شيء على معرفة العدو معرفة جيدة، يمكن التوصل اليها عن طريق المعلومات والدراسة المسبقة، وكذلك بالتقدير الصحيح لقواته الذاتية ووسائله. وهناك بعض المبادىء التي يمكن استخلاصها مما سبق:

آ ـ الاستعداد: وهو الشرط الدائم للنجاح مهما كان شكل الحرب. و النجاة، تتوقف الى حد بعيد على انتشار القوات والاقتصاد والحماية المنظمة للسكان، وهذا يتطلب ترتيبات طويلة لوضعه موضع التنفيذ، ولكنه يجب أن يتمشى مع الاتجاهات اللامركزية الحديثة والاقليمية الخ...

وعدا عن ذلك فإن التقدم التقني شرط أساسي للتسليح وهو كذلك جزء مرتبط بالعلوم والصناعة كد «عامل» و«منشط» لها.

واخيراً فقد اصبح الاعداد المعنوي للسكان ضرورياً أكثر من أي وقت مضى ـ ليس بعقلية عسكرية عفا عليها الدهر ولكن من أجل التفهم الواقعي لكل ما يهدد حياته واستقلاله ولاعطائه ارادة الدفاع عنها في جميع الاحوال وتحول التضحيات اللازمة لذلك مها كانت ـ واهمال هذه الناحية يؤدي حتماً إلى التبعية على المدى الطويل، اكبان ذلك عن طريق السلاح أو بواسطة الصراع الدولي الذي لا يعرف الرحمة.

ولايمكن القول أن هناك «مفهوماً ستراتيجياً نووياً» للحروب الشاملة لانه يقوم على نصوص جامدة للاستخدام لايمكن تعديلها، غير أن هذه النصوص تساعد على ايجاد «ستراتيجية سياسة دائمة» تعتمد على «ثقل» البلدان بعضها تجاه بعض، وعلى اختيار الاهداف ومعيار الرشقات النووية. الخ...

أما الحرب نصف النووية التي تستخدم الاسلحة النووية التكتيكية، والاسلحة الكلاسيكية في وقت واحد، وكذلك الحرب التقليدية، التي لا تستخدم

سوى الاسلحة التقليدية فتحتاج الى «تكتيكات» مختلفة، ولكن الخطوط العريضة لمفهوم الستراتيجية فيها متشابها ونستطيع فيها يلي سردذ بعض مميزاتها:

ـ السيادة الجوية المحلية هامة على الأقل ولفترة محدودة من الزمن، ويعتبر ذلك شرط لابد منه لكل نصر عسكري.

- وفي البريجب أن تتمكن القوى المهاجمة أن تشكل رأس حربة قادرة على الاختراق السريع والعميق. ولنجاح ذلك لابد من «المفاجأة» التي تعتبر في هذه الحالة العنصر الحاسم. أما أهداف الاختراق المفضلة فستكون المدن ومراكز العدو الحيوية، المناطق التي يمكن أن تأتي منها المساعدات الخارجة: كما يمكن لهذا الاختراق أن يساعد على رد العدو على اعقابه من أجل التقدم السريع، تمهيداً لتدمير قواته المتخلفة فيها بعد.

والواقع أنه يمكن تأمين تموين الوحدات المهاجمة عن طريق الجو، خاصة وان العدو سيستردد في محاولة ايقافه باستخدام الاسلحة النووية التي ستؤدي الى تدمير اراضيه نفسها ووسائله وسكانه.

- اما الستراتيجية الدفاعية فيجب أن تهدف الى تكسير الاندفاع الاولى للعدو وخاصة اندفاع عناصره الأمامية ، وذلك بهدف التمكن من استخدام النيران النووية التكتيكية بملء قوتها مع تجنب التدمير الذاتي بقوات المدافع المسلحة وسكانه ووسائله .

أما اذا تم احتىلال الاراضي فعند ذلك يمكن «تصور» دفاع داخلي يتألف من عدة «نقاط استناد مغلقة» او قنفذية تستند الى المواقع الطبيعية المحصنة ، كالكتل الجبلية ، ولكن ذلك لن يكون له أي معنى الا اذا توفرت له ثلاثة شروط: الاعداد المسبق معنوياً ومادياً واستمرار القتال لفترة طويلة ما أمكن ، وأخيراً ضهان تدخل قوات صديقة ، وهذه لايمكن أن تأتي الا اذا كان هناك حلف عسكري وسياسي جدي ومتين . وهذا يعني على مستوى القارة الاوربية ، وجود حلف متين بملك قوة بحرية كافية .

الخلاصة

من المؤكد أن هذا الكتيب ليس في مستوى المشاكل الهائلة والمعقدة التي يتعرض لها، والتي تتحكم في مستقبل العالم. وان اقصى ما يطمح له هولفت الانتباه لبعض وجوه هذه المشاكل واظهار صلاتها في «تركيب» عام جداً، ولكنه (أي الكتيب) على أساس «رؤية خاصة للأشياء»، هو أبعد ما يكون عن ادعاء التنبؤ بالمستقبل. ويمكن ان نستخلص من هذا التركيب عدداً من الأفكار على شكل خلاصة.

لقد اظهرت لنا الجغرافيا - السياسية والجغرافيا - الستراتيجية وجوب عدم النظر للمالم كلوحة تزينها دول مفصولة عن بعضها بخطوط تسمى الحدود، بل كمنظومة مؤلفة من مجموعات كبيرة دائمة التطور ضمن اطار توازن موقت، وان استقرار هذا التوازن وامكانية التحكم بتغيراته يعتبر معياراً لفرص السلام والتقدم الانسانى.

وقد أظهرت الوقائع من جانبها أن هذه المجموعات نفسها توزع على شكل «قبيلتين» تقفان بمواجهة بعضها البعض فوق الكرة الأرضية بكاملها بسبب عوامل طبيعية وبشرية متنوعة، وايديولوجيات متعارضة جذرياً. ويرتدي صراع هاتين القبيلتين اشكالاً متعددة، ويستخدم وسائل متنوعة جداً منها الحرب الباردة والحرب الساخنة، والنزاعات بأشكالها المختلفة، والتعايش السلمي، واستخدام السلاح والمال والايديولوجيات.

وفي كل الحالات يبقى الهدف الدائم هو تمزيق «القبيلة المعادية» بقلب عناصرها واعضائها الواحد تلو الأخر. وقبل كل شيء أولئك الذين يشغلون «مناطق مفتاحية» أو نقاط اتصال في العالم.

والعالم الغربي لم يستطع حتى الأن القيام الا «بعمليات اعاقة» تتخللها مراحل مريرة، أو على أحسن حال «توقفات» كها حدث في كوريا وكوبا، ويجد نفسه «أي الغرب» في موضع المتهم «خطأ أم صواباً» على الصعيد الايديولوجي، وهذا يشكل معوقاً رهيباً لتحركاته في هذا الصراع.

ولقد حان الوقت، وأصبح الآن ممكناً أن تؤدي عوامل الجغرافيا ـ السياسية والميول الطبيعية وظائفها العادية فتغير «منحى الأحداث». وقد حدث مثل هذا التحول بالفعل، كما ظهرت بعض المؤشرات التي تدل على امكانية التحول حتى في قلب القبيلة الماركسية نفسها.

اما بالنسبة لفرنسا فإن حضارتها، واحتياجاتها وأمنها تجعل مكانها الطبيعي في جملة العالم الغربي، وإن انحسارها الى حدود «مضلعها السداسي» لا يغير شيئاً بل على العكس لأن ذلك يجعل منها عنصراً من أوربا الغربية، ومكانها سيحسب له الحساب في القارة الاوربية كلها وفي العالم اجمع اذا ما احسنت استثمار وضعها وسمعتها، ولأن موقعها والاشعاع العالمي الذي ورثته من ماضيها، تمكنها أن تكون بنفس الوقت الرئة التي تتنفس منها أوربا، والقاعدة التي اليها في المستقبل «الوحدة الاوروافريقية» التي تمليها قوة الاشياء.

واذا كاتت وسياسة العظمة ، قد أصبحت مفتوحة أمامها فمن واجبها أن تسلك هذا الطريق المزدوج:

طريق غرب أوربا، والطريق الافريقي المحيطي.

الفهرس

.

ο.	قديم
٩.	لمقدمة
۱۳	لجزء الأول: الجغرافيا السياسية
١٥	الفصل الأول: لمحة تاريخية
٣١	الفصل الثاني: ميزة مجال الجغرافيا السياسية
00	الفصل الثالث: الطابع الجغرافي ـ السياسي للعالم الحالي
۸۳	لجزء الثاني: الجغرافيا الستراتيجية
۸٥	الفصل الرابع: تطور الستراتيجية
11	الفصل الخامس: محاولة لدراسة الستراتيجية
	الفصل السادس: الوجه الجغرافي ـ الستراتيجي
114	للعالم الحالي
1 2 Y	الفصل السابع: عناصر ستراتيجية المستقبل
100	لخلاصة

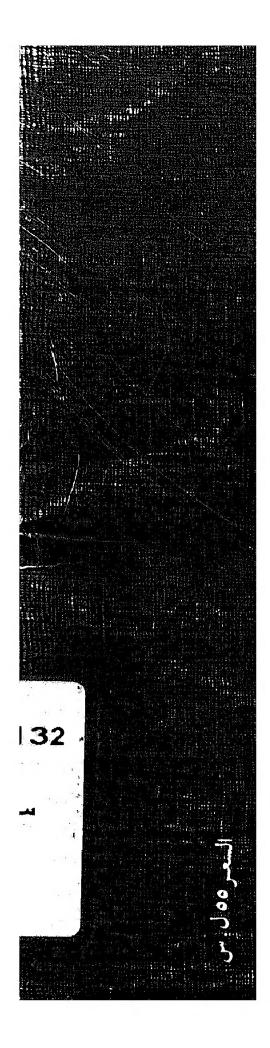
صدر عن الأهالي

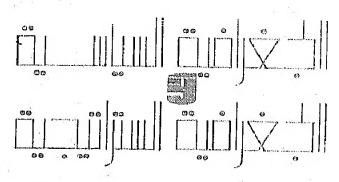
١ - النباتات الطبية واستعمالاتها د. محمد العودات و د. جورج لحام ٢ ـ المعنزلة والفكر الحر د. عادل العوا ٣ . ساعة الشؤم (رواية) غابرييل غارسيا ماركيز، ترجمة صالح علماني ٤ ـ من الانجاهات الفكرية في سورية ولبنان د. عبداله حنا ه .. والليل الذي يسكنني (شعر) ممدوح عدوان ٦ .. الفضاء هذا العالم الجديد مجموعة من الباحثين، ترجمة عيسي طنوس ٧ ـ السينما والقضية الفلسطينية حسين العودات ٨ ـ أناباز (قصيدة طويلة) سان جون بيرس، ترجمة عبد الكريم كاصد ٩ .. الفرسان الثلاثة (للاطفال) سليمان العيسى وصلاح مقداد ١٠ ـ الداء السكري د. ميه الرحبي ١١ ـ المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة على الفيّم ١٢ ـ أزهار الكرز (أشمار يابانية) ترجمة عدنان بغجاتي ١٢ . وضاح وليلي (للاطفال) سليمان العيسي ١٤ ـ القيامة والزبال (مسرحيتان) ممدوح عدوان ه ١ .. الذاكرة والفضب (رواية) فائز الزبيدي ١٦ - حكاية الرجل الذي رفسه البغل (قصص) وليد معماري ١٧ ـ حكى لن الأخرس (سخريات صغيرة) خطيب يدلة ۱۸ ؞ قدّاس من أجل فلاح اسباني (رواية) رامون خ. سيندر، ترجمة عاصم الباشا ١٩ - البطل الملحمي في روايات عبد الرحمن منيف د. أحمد جاسم الحميدي ٢٠ ـ الدهب (قصة للأطفال) يحيى الشيخ ٢١ ـ التلوث وحماية البيئة د. محمد العودات عبد الفتاح قلعه جي ۲۲ .. مسرح الريادة (دراسة) حدثان حمامة ٢٣ _ طبرصف والزينبية ۲۶ ـ الكاتبات السوريات ۱۸۹۲ ـ ۱۹۸۷ مروان المصري يوسف سامى اليوسف ۲۵ ـ حملين الأمالي 27 . الانتفاضة بالكاريكاتير عزيز نسين، ترجمة: عبد القادر عبد اللي د. عبد الرزاق جعفر هادي الملوي الملوي ايزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني مجموعة من الكتاب، تحرير: ابراهيم الجرادي فريد جعنا منيف حوراني منيف حوراني ارنستو ساباتو، ترجمة: عبد السلام عقيل غابرييل غارسيا ماركيز ـ ترجمة صالح علماني محمد الجبر محمد الجبر شيركو بيكه س شيركو بيكه س

٢٧ - زوبك (رواية)
٢٨ - الطفل والاحلام (دراسة)
٢٩ - من قاموس التراث
٣٠ - المحب والظلال (رواية)
٣١ - دراسات في أدب عبد السلام العجيلي
٣٢ - قيامة عبد المقهار عبد السميع
٣٣ - الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر
٣٣ - أرق الليلة الفاصلة
٣٣ - كيف تُكتب الرواية؟
٣٧ - الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق
٣٨ - مرايا صغيرة (شعر)
٣٩ - مرايا صغيرة (شعر)
٢١ - السواد (رواية)
٢١ - الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية

تحت الطبع

فاضل الربيمي مجموعة من المترجمين مجموعة من الباحثين السولمييت احمد يوسف داوود سمر روحي الفيصل د. ناجي المجيوش عبد الرزاق عيد حاتم علي - السؤال الآخر - سورية الجنوبية - ارتقاء المجتمعات الشرقية - تفاح الشيطان (رواية) - النقد الأدبي الحديث - الشذوذ الجنسي - سوسيولوجيا الرواية - موت مدرس التاريخ (تصمص) - بم المتعلل (شعر)





كتاب: «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الستراتيجية الذي نقدمه اليوم للقارىء العربي ، هو محاولة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بيير سليرييه» لتعيد هذا الميدان الشائك شديد الوعورة، وتأطيره، والسعي للاحاطة بفروعه ومقوماته وأسسه العلمية والتاريخية العديدة، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين.

واعتقادنا أن شمولية البحث رغم كثافته وايجازه، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم والجغرافيا للسياسية، والجغرافيا للستراتيجية».

فالمكان والزمان والانسان، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم.

الناشر

To: www.al-mostafa.com